الشيعة

في موكب التاريخ

دراسة موضوعية في نشأة الشيعة

في ضوء الكتاب والسنة والتاريخ

جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحیم

الشيعه فى موكب التاريخ

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الشیعه فی موکب التاریخ

اشارهٔ

سرشناسه : سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ –

عنوان و نام پدیدآور : الشیعهٔ فی موکب‌التاریخ: دراسهٔ موضوعیهٔ فی نشاهٔالشیعهٔ فی ضوءالکتاب والسنهٔ والتاریخ/ جعفر سبحانی.

مشخصات نشر : تهران: الممثلیه الولی‌الفقیه لشوون‌الحج والزیاره،معاونیه شوون‌التعلیم والبحوث، ۱۴۱۳ق.= ۱۹۹۲م.= ۱۳۷۱.

مشخصات ظاهری : ۱۴۰ص.

وضعیت فهرست نویسی : برون‌سپاری.

یادداشت : عربی.

یادداشت : [الممثلیه الولی الفقیه لشوون الحج و الزیاره]، معاونیه شئون التعلیم و البحوث الاسلامیه فی الحج، [۱۳۷۵]. (بافروست)

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع : شیعه -- تاریخ

رده بندی کنگره : BP۲۳۹/س۲ش۹ ۱۳۷۱

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵۳

شماره کتابشناسی ملی : ۲۴۴۴۴۲۵

ص:۱

المقدمهٔ

ص:۲

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يأتى المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأن الحقبة الزمنية التى شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمدصلى الله عليه و آله و سلم و سنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها إنعطافا رهيبا و تحولا كبيرا فى حياة البشرية فى وقت شهد فيه الخط البيانى الدال على مدى الإبتعاد المتسارع عن المنهج السماوى و شرائعه المقدسة انحدارا عميقا و ترديا ملحوظا أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه و حدود أبعاده.

بلى، ان مجرد الاستقراء المتعجل لأبعاد التحول الفكرى و العقائدى فى حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية فى أرض الجزيرةالمسترخية على رمال الوهم و الخداع و سيل الدم المتدافعيكشف و بلا- تطرف و محاباة عظم ذلك التأثير الإيجابى الذى يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحول المعاكس فى كيفية التعامل اليومى مع أحداث الحياة و تطوراتها، و بالتالى فى فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان و دوره فى بناء الحياة.

كما أن هذه الحقائق المجسدة تكشف بالتالى عن عظم الجهد الذى بذلهصاحب الرسالةصلى الله عليه و آله و سلم فى تحقيق هذا الأمر و تثبيت أركانه، فى وقتشهدت فيه البشرية جمعاء ضياعا ملحوظا فى جميع قيمها و معتقداتها، و خلطا و تزييفا مدروسا فى مجمل عقائدها و مرتكزات أفكارها، كرس بالتالى مسارها المبتعد عن الخط السماوى و مناهجه السوية، و ان أى استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاكو التى كانت تشكل المعيار الأساسى و المفصل المهم الذى تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية و الجماعية و تشذب من خلالهيكشف عن عمق المأساة التى كانت تعيشها تلك الامم فى تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاكو التى تعتبر فى تصور العوام و فهمهم مصدر القرار العرفى و الشرعى المدير لشؤون الناس و المتحكم بمصائرهم و مسار تفكيرهمتنحصر فى ثلاث مراكز معلومة أركانها الإساسية: اليهود بما يتملكونه من طرح عقائدى و فكرى يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، و الصليبيون بما يشكلونه فى قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها و مراكزها إلى أبعد النقاط و الحدود، و أصحاب الثروة و الجاه من المتنفذين و المتحكمين فى مصائر الناس.

و من هنا فإن كل الضوابط الأخلاقية و المبادىء العرفية و العلاقات الروحية و الاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز و توجيهها بما يتلائم و توجهاتها التى لا تحدها أى حدود.

إن هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لأن تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذى أراده الله تعالى له، و دفعه عن دوره الكبير الذى خلق من أجله عند ما قال تعالى للملائكة: إنى جاعل فى الأرض خليفة بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماما رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسانليبقى دائما بيدقا أعمى تجول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

و أما ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود أمام تيارات التزييف و الكذب و الخداع التى مسختصورتها إلى أبعد الحدود.

ص:۳۰

نعم بعث محمدصلی الله علیه و آله و سلم إلی قوم خیر تعبیر عنهم قول جعفر بن أبی طالب للنجاشی: أیها الملک کنا أهل جاهلیة نعبد الأصنام، و نأکل المیتة، و نأتی الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسیء الجوار، و یأکل القوی منا الضعیف.

هذا فی الوقت الذی کانت فیه مراکز القوی تلک تتضخم و تتعاظم علی حساب ضیاع البشریة و موت مبادئها.

و هکذا فقد کانت الدعوة الإسلامیة الفتیة وصاحبهاصلی الله علیه و آله و سلم فی مواجهة هذه المراکز بامداداتها الرهیبة و قدراتها العظیمة، و التی شکلت أعنف مواجهة شرسة و قتال لیس له مثیلصبغ أرض الجزیرة و رمالها الصفراء، بلون أحمر قانی لسنوات لم یعرف فیها رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم و خیرة أصحابه للراحة طعما و للسکون مسکنا.

إن تلک الحصون الملیئة بالشر و الخراب لم تتهاوی إلا بعد جهد جهید وسیل جارف من الدماء الطاهرة التی لا توزن بها الجبال، من رجال أوقفوا أنفسهم و أرواحهم من أجل هذا الدین وصاحبهصلی الله علیه و آله و سلم.

استطاع رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم أن یقیم حکومة الله تعالی فی الأرض و أن یثبت فیها الأرکان علی أساس الواقع و الوجود، فلم تجد آنذاک کل قوی الشر بدامن الإختباء فی زوایا العتمة و الظلام تتحین الفرص السانحة و الظروف الملائمة للانقضاض علی هذا البنیان الذی بدا یزداد شموخا و علوا مع تقادم السنین.

و لقد کان رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم یدرک عیانا أن نقطة ضعف هذه الامة یکمن فی تفرقها و فی تبعثر جهودها مما سیمکن من ظهور منافذ مشرعة فی هذا البنیان الکبیر لا تتردد أرکان الکفر و أعداء الدین المتلونین و المتسترین من النفوذ خلالها و التسلل بین أهلها، و فی ذلک الخطر الأکبر. و لذا فإن رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم کان یصرح و یحذر من افتراق امته، و یلوح للمفترقین بالنار و الجحیم.

بید أن ما حذر منهصلی الله علیه و آله و سلم و ما کان یخشاه، بدت أول معالمه الخطرة تتوضح فی اللحظات الاولی لرحیلهصلی الله علیه و آله و سلم و انتقاله إلی عالم الخلود، و عندها وجد أعداء هذا الدین الفرصة مواتیة للولوج إلی داخل هذا البناء و العمل علی هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.

فتفرقت هذه الأمة فرقا فرقا و جماعات جماعات، لا تتردد کل واحدة من أن تکفر الاخری و تکیل لها التهم الباطلة و الافتراءات الظالمة، و انشغل المسلمون عن اعدائهم بقتال اخوانهم و التمثیل بأجسادهم، و حل بالأمة وباء و بیل بدا یستشری فی جسدها الغض بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعد هذه السنین المرة من الفرقة و التشتت بدا المسلمون فی اخریات المطاف یلعقون جراح خلفتها سیوف إخوانهم لا سیوف أعدائهم فی حین ینظر إلیهم أعدائهم بتشف و شماتة. إن ما حل بالمسلمین من مصائب و تخلف فی کافة المستویات أوقعتهم فی براثن المستعمرین أعداء الله و رسله یعود إلی تفرق کلمتهم و تبعثر جهودهم و تمزق وحدتهم، و لعل نظرة عاجلة لما یجری فی بقاع المعمورة المختلفة یوضح لنا هذه الصورة المؤلمة و

ص:۴۰

المفجعـة، فمن فلسـطين مرورا بلبنان و افغانسـتان و البوسـنة و الهرسک و الصومال و غيرها و غيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزق و التبعثر.

و إن كان من كلمـة تقال فإن للجهود المخلصـة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر فى توقى غيرها من المضاعفات الخطيرة التى تتولد كل يوم فى بلد من بلاد المسلمين لا فى غيرها.

و لا نغالى إذا قلنا بأن للجمهورية الإسـلامية فى إيران و مؤسسـها الإمام الخمينيرضوان الله تعالى عليهالفضل الأكبر فى تشخيص موضع الداء و تحديد موطنه.

و لعل الإسـتقراء المختصـر لجمل توجيهات الإمامرحمه اللهطوال حياته و لسـنين طويلة يدلنا بوضوح على قدرته التشخيصـية فى وضع يده على موضع الداء، و دعوته إلى الالتفات إلى ذلک، لا إلى الإنشغال بما عداه.

فمن نـداء لهرحمه اللهإلى حجاج بيت الله الحرام فى عام (۱۳۹۹ ه) قـال: و من واجبات هـذا التجمع العظيم دعوة الناس و المجتمعات الإسـلامية إلى وحدة الكلمة و إزالة الخلافات بين فئات المسـلمين، و على الخطباء و الوعاظ و الكتاب أن يهتموا بهذا الأمر الحياتى و يسـعوا إلى إيجادجبهة للمستضـعفين للتحرر بوحدة الجبهة و وحدة الكلمة و شـعار (لا إله إلا الله) من أسـر القوى الأجنبية الشـيطانية و المستعمرة و المستغلة، و للتغلب بالاخوة الإسلامية على المشاكل.

يا مسـلمى العالم، و يا أتباع مدرسـة التوحيـد رمز كل مصائب البلـدان الإسـلامية هو اختلاف الكلمة و عدم الإنسـجام، و رمز الانتصار وحدة الكلمة و الإنسجام، و قد بين الله تعالى ذلک فى جملة واحدة: و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا و الاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام و فى اتجاه الإسلام و المصالح المسلمين، و الإبتعاد عن التفرقة و الإنفصال و الفئوية التى هى أساس كل مصيبة و تخلف.

و قـالرحمه اللهفى كلمـة له مع و فـد من كبـار علماء الحرمين الشـريفين (۱۳۹۹ ه): رمز انتصار المسـلمين فيصدر الإسـلام كان وحدة الكلمة و قوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، و لو كانت الحكومات و الشعوب الإسلامية متلاحمة فلا معنى لأن يبقى ما يقارب مليار إنسان مسلم تحت سـيطرة القوى الأجنبيـة، لو أن هـذه القـدرة الإلهيـة الكبرى تقترن بقوة الإيمـان و يسـيروا جميعا متآخين على طريق الإسـلام فلا تستطيع أية قوة أن تتغلب عليهم.

و أكـدرحمه اللهعلى مغزى سـر انتصار المسـلمين فيصدر الإسـلام الأول رغم قلة عددهم و تواضع امكانياتهم، و انكسارهم فى الوقت الحاضـر مع عظم امكانياتهم و كثرة عـددهم بقوله: يا مسـلمى العالم ما ذا دهاكم فقـد دحرتـم فيصـدر الإسـلام بعـدة قليلة جدا القوى العظمى و أوجدتـم الأمةالكبرى الإسـلامية الإنسانية، و اليوم و أنتم تقربون من مليار إنسان و تملكون مخازن الخيرات الكبرى التى هى أكبر حربة تقفون أمام العدو بمثل هذا الضـعف و الإنهيار، أتعلمون أن كل مآسيكم تكمن فى التفرقة و الاختلاف بين زعماء بلدانكم و بالتالى بينكم أنتم أنفسكم.

ص:۵

و قال أیضا: اثارة الاختلافات بین المذاهب الإسلامیة من الخطط الإجرامیة التی تدبرها القوی المستفیدة من الخلافات بین المسلمین، بالتعاون مع عملائها الضالین بمن فیهم وعاظ السلاطین المسودة وجوههم أکثر من سلاطین الجور أنفسهم، و هؤلاء یؤججون نیران هذه الاختلافات باستمرار، و کل یوم یرفعون عقیرتهم بنعرة جدیدة، و فی کل مرحلة ینفذون خطة لإثارة الخلافات، آملین بذلک هدمصرح الوحدة بین المسلمین من أساسه.

و هکذا فإن الصورة تبدو أکثر وضوحا عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخمینی و توصیاته المستمرة إلی عموم المسلمین و خصوصا فی مواسم الحج التی تشکل أفضل تجمع إسلامی تشارک فیه أعداد ضخمة من المسلمین و من شتی بقاع المعمورة فی مؤتمر ضخم لا بد من أن یکرسه المسلمون لتدارس أمورهم و علاج مشاکلهم و مناقشة معتقداتهم، حیث أن الإمامرحمه اللهکان یواظب علی اثارة هذه الأمور الحساسة و المهمة فی حیاة الإسلام و المسلمین، و لم یدخر فی ذلک جهدا.

کما أن الإطلاع علی فتاوی الإمامرضوان الله تعالی علیهیکشف بوضوح عمق توجهه إلی هذا الأمر الحیوی و الدقیق، و تأکیده علیه.

فمن توجیهاتهرحمه اللهإلی الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة: قال: یلزم علی الإخوة الإیرانیین و الشیعة فی سائر البلدان الإسلامیة أن یتجنبوا الأعمال السقیمة المؤدیة إلی تفرقةصفوف المسلمین، و یلزم الحضور فی جماعات أهل السنة، و الإبتعاد بشدة عن تشکیلصلاة الجماعة فی المنازل و وضع مکبرات الصوت بشکل غیر مألوف و عن إلقاء النفس علی القبور المطهرة و عن الأعمال التی قد تکون مخالفة للشرع.

یلزم و یجزی (أی یکفی) فی الوقوفین متابعة حکم القاضی من أهل السنة، و إن حصل لکم القطع بخلافه.

علی عامة الإخوة و الأخوات فی الدین أن یلتفتوا إلی أن واحدا من أهم أرکان فلسفة الحج إیجاد التفاهم و ترسیخ الإخوة بین المسلمین.

و غیر ذلک من الفتاوی المهمة التی ندعو جمیع المسلمین إلی مطالعتها و التأمل فیها.

و علی هذا الخط المبارک و اصلت الجمهوریة الإسلامیة مسارها فی الدعوة إلی وحدة کلمة المسلمین بعد رحیل الإمام الخمینیرضوان الله تعالی علیهو أخذت تؤکد علیه فی کل مناسبة و مکان علی لسان قائدها سماحة آیة الله السید علی الخامنئیحفظه اللهو باقی مسؤولیها، و لم تدخر جهدا فی العمل علی اقامة هذا الأمر الشرعی المهم و الدفاع عنه، من خلال توجیهاتها المستمرة فی هذا المنحی أو دعمها غیر المحدود لکل الجهود المخلصة فی هذا المیدان.

و أخیرا ... فإن هذا الکتاب الماثل بین یدیک أخی القاریء الکریمو الذی أبدع فی اخراجه یراع أحد أساتذة جامعة مدینة قم العلمیة، و هوالباحث القدیر الشیخ جعفر السبحانیدعوة للتأمل ضمن الحدود التی أشرنا إلیها فی حدیثنا، و هی بالتالی تعکسصورةصادقة عن حجم الهجمة الکافرة التی أرادت تمزیق الأمة و دفعها إلی التشتت و التشرذم، و بیان کم أخذت من مساحة واسعة فی فکر هذه الأمة و معتقداتها.

ص:۶

بلی لسنا فی معرض الدفاع عن الوجود المقدس لهذه الشریعة السماویة فحسب، بل ابتغینا إزاحة اللثام و إماطة الخبث عن الدسائس الخبیثة التی ترید بالأمة الهلاک.

و قد قامت معاونیة شؤون التعلیم و البحوث بنشره، حتی یعم نفعه و یتعرف المسلمون علی الشیعة عن کثب.

و الله تعالی من وراء القصد.

مبدأ التشیع و تاریخ نشأته

زعم غیر واحد من الکتاب القدامی و الجدد: أن التشیع کسائر المذاهب الإسلامیة من إفرازات الصراعات السیاسیة، فی حین یذهب البعض الآخر إلی القول بأنه نتاج الجدال الکلامی و الصراع الفکری. فأخذوا یبحثون عن تاریخ نشوئه و ظهوره فی الساحة الإسلامیة، و کأنهم یتلقون التشیع کظاهرة جدیدة وافدة علی المجتمع الإسلامی، و یعتقدون بأن القطاع الشیعی و إن کان من جسم الأمة الإسلامیة إلا أنه تکون علی مر الزمن نتیجة لأحداث و تطورات سیاسیة أو اجتماعیة فکریة أدت إلی تکوین هذا المذهب کجزء من ذلک الجسم الکبیر و من ثم اتسع ذلک الجزء بالتدریج.

و لعل هذا التصور الخاطیء لمفهوم التشیع هو ما دفع أصحاب هذه الاطروحات إلی التخبط و التعثر فی فهمهم لحقیقة نشوء هذا المذهب، و محاولاتهم الرامیة لتقدیم التفسیر الأصوب، و لو أن أولئک الدارسین شرعوافی دراستهم لتاریخ هذه النشأة من خلال الاطروحات العقائدیة و الفکریة التی ابتنی علیها التشیع لأدرکوا بوضوح و دون لبس أن هذا المذهب لا یشکل فی جوهر تکوینه و قواعد أرکانه إلا الإمتداد الحقیقی للفکر العقائدی للدین الإسلامی و الذی قام علیه کیانه.

و إذا کان البعض یذهب إلی الاعتقاد بأن التشیع یظهر بأوضحصوره من خلال الالتفات و المشایعة للوصی الذی اختاره رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلمخلیفة له بأمر الله تعالی لیکون قائدا و إماما للناسکما کان رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلمففی ذلک أوضح المصادیق علی حقیقة هذا النشوء الذی اقترن بنشوء و تبلور الفکر الإسلامی الکبیر، و الذی لا بد له من الاستمرار و التواصل و التکامل حتی بعد رحیلصاحب الرسالةصلی الله علیه و آله و سلم-، و الذی ینبغی له أن یکون الاستمرار الحقیقی لتلک العقیدة السماویة و حامل أعباء ترکتها.

فإذا اعتبرنا بأن التشیع یرتکز أساسا فی استمرار القیادة بالوصی، فلا نجد له تأریخا سوی تأریخ الإسلام، و النصوص الواردة عن رسولهصلی الله علیه و آله و سلم-.

روی أصحاب الصحاح و المسانید نصوصا کثیرة فی وصایة الإمام أمیر المؤمنین، و إذا کانت تلک النصوص من القوة و الحجیة التی لا یرقی إلیها الشک، و تعد و بدون تردد رکائز عقائدیة أراد أن یثبت اسسها رسول

ص:۷

الله صلی الله علیه و آله و سلم-، فهی بلا شک تدل و بوضوح علی أن هذه الاستجابة اللاحقة استمرار حقیقی لما سبقها فی عهد رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم-، و إذا کان کذلک فإن جمیع من استجابوا لرسول اللهصلی الله علیهو آله و سلم-، و انقادوا له انقیادا حقیقیا، یعدون بلا شک رواد التشیع و حاملی بذوره الأوائل، فالشیعة هم المسلمون من المهاجرین و الأنصار و من تبعهم باحسان فی الأجیال اللاحقة، من الذین بقوا علی ما کانوا علیه فی عصر الرسول فی أمر القیادة و لم یغیروه و لم یتعدوا عنه إلی غیره، و لم یأخذوا بالمصالح المزعومة فی مقابل النصوص، وصاروا بذلک المصداق الأبرز لقوله سبحانه: یا أیها الذین آمنوا لا تقدموا بین یدی الله و رسوله و اتقوا الله إن الله سمیع علیم ۱ ففزعوا فی الأصول و الفروع إلی علی و عترته الطاهرة، و انحازوا عن الطائفة الاخری من الذین لم یتعبدوا بنصوص الخلافة و الولایة و زعامة العترة حیث ترکوا النصوص، و أخذوا بالمصالح.

إن الآثار المرویة فی حق شیعة الإمام عن لسان النبی الأکرمو الذین هم بالتالی شیعة لرسول اللهصلی الله علیه و آله و سلمترفع اللثام عن وجه الحقیقة، و تعرب عن التفاف قسم من المهاجرین حول الوصی، فکانوا معروفین بشیعة علی فی عصر الرسالة، و إن النبی الأکرم وصفهم فی کلماته بأنهم هم الفائزون، و إن کنت فی شک من هذا فسأتلوا علیک بعض ما ورد من النصوص فی المقام:

۱- أخرج ابن مردویه عن عائشة، قالت: قلت: یا رسول الله من أکرم الخلق علی الله؟ قال: «یا عائشة أما تقرأین: إن الذین آمنوا و عملوا الصالحات اولئک هم خیر البریة» البینة/ ۲ ۷.

۲- أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال: کنا عند النبیصلیالله علیه و آله و سلمفأقبل علی فقال النبی: «و الذی نفسی بیده إن هذا و شیعته لهم الفائزون یوم القیامة»، و نزلت: إن الذین آمنوا و عملوا الصالحات أولئک هم خیر البریة فکان أصحاب النبی إذا أقبل علی قالوا: جاء خیر البریة ۳.

۳- أخرج ابن عدی و ابن عساکر عن أبی سعید مرفوعا: «علی خیر البریة» ۴.

۴- و أخرج ابن عدی عن ابن عباس قال: لما نزلت: إن الذین آمنوا و عملوا الصالحات أولئک هم خیر البریة قال رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلملعلی: «هو أنت و شیعتک یوم القیامة راضین مرضیین».

۵- أخرج ابن مردویه عن علی قال: قال لی رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم-: «أ لم تسمع قول الله: إن الذین آمنوا و عملوا الصالحات أولئک هم خیر البریة أنت و شیعتک، موعدی و موعدکم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرا محجلین» ۵.

۶- روی ابن حجر فیصواعقه عن أم سلمة: کانت لیلتی، و کان النبیصلی الله علیه و آله و سلمعندی فأتته فاطمة فتبعها علیرضی الله عنهمافقال النبی: «یا علی أنت و أصحابک فی الجنة، أنت و شیعتک فی الجنة» ۶.

۷- روی ابن الأثیر فی نهایته: قال النبی مخاطبا علیا: «یا علی، إنک ستقدم علی الله أنت و شیعتک راضین مرضیین، و یقدم علیه عدوک غضابا مقمحین» ثم جمع یده إلی عنقه یریهم کیف الإقماح. قال ابن الأثیر: الإقماح: رفع الرأس و غض البصر ۷.

ص:۸

۸- روی الزمخشری فی ربیعه: ان رسول الله قال: «یا علی، إذا کان یوم القیامهٔ أخذت بحجزهٔ الله تعالی، و أخذت أنت بحجزتی، و أخذ ولدک بحجزتک، و أخذ شیعهٔ ولدک بحجزهم، فتری أن یؤمر بنا» ۸.

۹- روی أحمد فی المناقب: انهصلی الله علیه و آله و سلمقال لعلی: «أما ترضی إنک معی فی الجنهٔ، و الحسن و الحسین و ذریتنا خلف ظهورنا، و أزواجنا خلف ذریتنا، و شیعتنا عن أیماننا و شمائلنا» ۹.

۱۰- روی الطبرانی: أنهصلی الله علیه و آله و سلمقال لعلی: «أول أربعهٔ یدخلون الجنهٔ أنا و أنت و الحسن و الحسین، و ذریتنا خلف ظهورنا، و أزواجنا خلف ذریاتنا، و شیعتنا عن أیماننا و شمائلنا» ۱۰.

۱۱- أخرج الدیلمی: «یا علی، إن الله قد غفر لک و لذریتک و لولدک و لأهلک و لشیعتک، فابشر انک الأنزع البطین» ۱۱.

۱۲- أخرج الدیلمی عن النبی أنه قال: «أنت و شیعتک تردونالحوض رواء مرویین، بیضهٔ وجوهکم، و إن عدوک یردون الحوض ظماء مقمحین» ۱۲.

۱۳- روی المغازلی بسنده عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله: «یدخلون من أمتی الجنهٔ سبعون ألفا لا حساب علیهمثم التفت إلی علی فقال:- هم شیعتک و أنت إمامهم» ۱۳.

۱۴- روی المغازلی عن کثیر بن زید قال: دخل الأعمش علی المنصور، فلما بصر به قال له: یا سلیمان تصدر، قال: أناصدر حیث جلستإلی أن قال فی حدیثه:- حدثنی رسول الله قال: «أتانی جبرئیلعلیه السلاماًنفا فقال: تختموا بالعقیق، فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانیهٔ، و لی بالنبوهٔ، و لعلی بالوصیهٔ، و لولده بالإمامهٔ، و لشیعته بالجنهٔ» ۱۴.

۱۵- و روی أیضا بسنده إلی سلمان الفارسی عن النبیصلی الله علیه و آله و سلمقال: «یا علی تختم بالیمین تکن من المقربین، قال: یا رسول الله و من المقربون؟ قال: جبرئیل و میکائیل، قال: فبما أتختم یا رسول الله؟ قال: بالعقیق الأحمر، فإنه جبل أقر لله بالوحدانیهٔ، و لی بالنبوهٔ، و لک بالوصیهٔ، و لولدک بالإمامهٔ، و لمحبیک بالجنهٔ، و لشیعتک و شیعهٔ ولدکبالفردوس» ۱۵.

۱۶- روی ابن حجر: انه مر علی علی جمع فأسرعوا إلیه قیاما، فقال: «من القوم؟» فقالوا: من شیعتک یا أمیر المؤمنین، فقال لهم: خیرا، ثم قال: «یا هؤلاء مالی لا أری فیکم سمهٔ شیعتنا و حلیهٔ أحبتنا» فأمسکوا حیاء، فقال له من معه: نسألک بالذی أکرمکم أهل البیت و خصکم و حباکم، لما نبأتنا بصفهٔ شیعتکم فقال: «شیعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله» ۱۶.

۱۷- روی الصدوق (۳۰۶- ۳۸۱): ان ابن عباس قال: سمعت رسول الله یقول: «إذا کان یوم القیامهٔ و رأی الکافر ما أعد الله تبارک و تعالی لشیعهٔ علی من الثواب الزلفی و الکرامهٔ ...» ۱۷.

و هذه النصوص المتضافرهٔ الغنیهٔ عن ملاحظهٔ اسنادها، تعرب عن کون علیعلیه السلاممتمیزا بین أصحاب النبی بأن له شیعهٔ و أتباعا، و لهم مواصفات و سمات کانوا مشهورین بها، فی حیاهٔ النبی و بعدها، و کان صلی الله

ص:۹

عليه و آله و سلميشيد بهم و يبشر بفوزهم، و هم بلا ريب ليسوا بخارجين قيد أنملة عن الخط النبوى المبارك للفكر الإسلامى العظيم و الذى يؤكد على حقيقة التشيع و مبدأه الذى لا يفترق عن نشوء الدين و استقراره.

فبعد هذه النصوص لا يصح لباحث أن يلتجيء إلى فروض ظنية أو وهمية فى تحديد تكون الشيعة و ظهورها.

وصايا النبى الأكرمصلى الله عليه و آله و سلم فى أهل بيتهعليهم السلام-

إن التفاف جمع من الصحابة الكرام حول الإمام عليعليه السلامفى حياة النبى الأكرم و بعد رحلته، كان نتيجة الوصايا النبوية فى حق الإمام و أهل بيته، و هذه الوصايا تهز قلب كل مسلم واع، و قد أفصح عنها النبيصلى الله عليه و آله و سلم فى مواقف حاسمة و فى مختلف مراحل دعوته، و كلها تعبر عن حقائق ناصعة، و هى أن اصادع بالحق كان يحث أصحابه و المسلمين عامة على إتباع الإمام و أهل بيته، و ينص على مرجعيتهم الكبرى فى أمر الدين و الدنيا معا.

و قد كان هذا دافعا لإنقطاع ثلة كبيرة من الصحابة و التابعين لهم بإحسان إلى الإمام و تقديمهم إياه على غيره فى القيادة الدينية بجميع أبعادها و شؤونها، وصار ذلك سببا للنواة التى بذرها النبى الأكرم و التى نمت و أينعت بعد رحيلهصلى الله عليه و آله و سلم. فلو كان لكل ظاهرة سبب، فظاهرة التشيع أثر لتلك الوصايا النبوية و الهتافات الربانية التى تلمسها من الأحاديث، و إليك بالنزر اليسير من الكثير الوفير.

۱- حديث الثقلين:

إن النبى الأكرمصلى الله عليه و آله و سلم نبه الأمة و بين لها المرجع و الملاذ بعد رحيله بقوله: «يا أيها الناس، إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، و عترتى أهل بيتى» ۱۸.

و قالصلى الله عليه و آله و سلم: «إنى تركت ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى، و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» ۱۹.

و قالصلى الله عليه و آله و سلم: «إنى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء و الأرض و عترتى أهل بيتى، و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ۲۰.

و قالصلى الله عليه و آله و سلم: «إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و أهل بيتى، و أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ۲۱.

و قالصلى الله عليه و آله و سلم: «إنى أوشك أن أدعى فأجيب، و إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز و جل، و عترتى. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى، و أن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» ۲۲.

و قالصلى الله عليه و آله و سلم فى منصرفه من حجة الوداع و نزوله غدير خم: «كأنى دعيت فأجبت، انى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، و عترتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ۲۳.

۲- حديث السفينة:

ص:۱۰

کما إن النبی الأکرمصلی الله علیه و آله و سلم شبه أهل بیته بسفینة نوح فقال: «ألا أن مثل أهل بیتی فیکم مثل سفینة نوح، من رکبها نجی، و من تخلف عنها غرق» ۲۴.

و فی حدیث آخر یقولصلی الله علیه و آله و سلم: «إنما مثل أهل بیتی فیکم کمثل سفینة نوح، من رکبها نجی، و من تخلف عنها غرق. و إنما مثل أهل بیتی فیکم مثل باب حطة فی بنی إسرائیل من دخله غفر له» ۲۵. و فی حدیث ثالث: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، و أهل بیتی أمان لأمتی من الاختلاف، فإذا خالفتها قبیلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبلیس» ۲۶.

و من المعلوم أن المراد لیس جمیع أهل بیته علی سبیل الاستغراق، لأن هذه المنزلة لیست إلا لحجج الله، و هم ثلة منتخبة مصطفاة من أهل بیته، و قد فهمه ابن حجر فقال: یحتمل أن المراد بأهل البیت الذین هم أمان علماءهم، لأنهم الذین یهتدی بهم کالنجوم، و الذین إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآیات ما یوعدون.

و قال فی مقام آخر: إنه قیل لرسول الله: ما بقاء الناس بعدهم؟ قال: «بقاء الحمار إذا کسرصلبه» ۲۷.

و المراد من تشبیههمعلیهم السلامبسفینة نوح أن من لجأ إلیهم فی الدین فأخذ فروعه و أصوله عنهم نجا من عذاب الله، و من تخلف عنهم کان کمن أوی یوم الطوفان إلی جبل لیعصمه من أمر الله فما أفاده شیئا فغرق و هلک.

و الوجه فی تشبیههم بباب حطة هو أن الله تعالی جعل ذلک الباب مظهرا من مظاهر التواضع لجلاله، و البخوع لحکمه، و بهذا کان سببا للمغفرة، و قد جعل انقیاد هذه الأمة لأهل بیت نبیها و اتباعهم أیضا مظهرامن مظاهر التواضع لجلاله و البخوع لحکمه، و بهذا کان سببا للمغفرة.

و قد أوضح ابن حجر حقیقة التشبیه فی الحدیث الشریف فقال: «و وجه تشبیههم بالسفینة أن من أحبهم و عظمهم شکرا لنعمة مشرفهم، و أخذ بهدی علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، و من تخلف عن ذلک غرق فی بحر کفر النعیم، و هلک فی مفاوز الطغیان» إلی أن قال: «و باب حطةیعنی و وجه تشبههم بباب حطةان الله جعل دخول ذلک الباب الذی هو باب أریحا أو بیت المقدس مع التواضع و الاستغفار سببا للمغفرة، و جعل لهذه الأمة مودة أهل البیت سببا لها» ۲۸.

۳- الأئمة الاثنا عشر فی حدیث الرسولصلی الله علیه و آله و سلم:

إن من تصفح مصنفات الحدیث النبوی الشریف یجد أن هناک روایات تحدد و تعین عدد الأئمة بعد الرسول و سماتهم، من دون ذکر لاسمائهم، و هی أحادیث الأئمة الاثنی عشر التی رواها أصحاب الصحاح و المسانید، و هی علی وجه لا ینطبق إلا علی من عینهم الرسولصلی الله علیه و آله و سلم للخلافة و الزعامة، و لذلک نذکرها فی عداد أدلة التنصیص علی الخلافة، و الإمعان فیها یرشد القاریء إلی الحق، و یأخذ بیده حتی یرسی مرکبه علی شاطیء الأمان و الحقیقة. و یطیب لی أن أذکر مجموع هذه النصوص فإنها تؤکد بعضها بعضا، و إلیک البیان.

الأئمة الاثنا عشر:

ص:۱۱

۱- روی البخاری عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم یقول: «یکون اثنا عشر أمیرا» فقال کلمة لم أسمعها، فقال أبی: أنه قال: «کلهم من قریش» ۲۹.

۲- روی مسلم عنه أیضا، قال: دخلت مع أبی علی النبیصلی الله علیه و آله و سلم فسمعته یقول: «إن هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفة». قال: ثم تکلم بکلام خفی علی، قال: فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: قال: «کلهم من قریش».

۳- و روی عنه أیضا، قال: سمعت النبیصلی الله علیه و آله و سلم یقول: «لا یزال أمر الناس ماضیا ما ولیهم اثنا عشر رجلا» ثم تکلم النبیصلی الله علیه و آله و سلم بکلمة خفیت علی، فسألت أبی: ما ذا قال رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم؟ فقال قال: «کلهم من قریش».

۴- و روی عنه أیضا نفس الحدیث إلا أنه لم یذکر: «لا یزال أمر الناس ماضیا».

۵- و روی مسلم عنه أیضا قال: سمعت رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم یقول: «لا یزال الإسلام عزیزا إلی اثنی عشر خلیفة» ثم قال کلمة لم أفهمها، فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: قال: «کلهم من قریش» ۳۰.

۶- وروی مسلم عنه أیضا، قال: انطلقت إلی رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم و معی أبی فسمعته یقول: «لا یزال هذا الدین عزیزا منیعا إلی اثنی عشر خلیفة» فقال کلمةصمنیها الناس، فقلت لأبی: ما قال؟ فقال: قال: «کلهم من قریش».

۷- و روی مسلم عنه أیضا قال: سمعت رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم یوم جمعة عشیة رجم الأسلمی یقول: «لا یزال الدین قائما حتی تقوم الساعة أو یکون علیکم اثنا عشر خلیفة کلهم من قریش» ۳۱.

۸- روی أبو داود عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم یقول: «لا یزال هذا الدین عزیزا إلی اثنی عشر» فکبر الناس و ضجوا، ثم قال کلمة خفیت علی قلت لأبی: یا أبه ما قال؟ فقال: قال: «کلهم من قریش» ۳۲.

۹- روی الترمذی عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم: «یکون من بعدی اثنا عشر أمیرا» ثم تکلم بشیء لم أفهمه فسألت الذییلینی، فقال: قال: «کلهم من قریش».

قال الترمذی: هذا حدیث حسنصحیح، و قد روی من غیر وجه عن جابر. ثم ذکر طریقا آخر إلی جابر ۳۳.

۱۰- روی أحمد فی مسنده عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبیصلی الله علیه و آله و سلم یقول: «یکون لهذه الأمة اثنا عشر خلیفة» و رواه عن ۳۴ طریقا ۳۴.

۱۱- روی الحاکم فی المستدرک علی الصحیحین فی کتاب معرفة الصحابة عن عون بن جحیفة عن أبیه، قال: کنت مع عمی عند النبیصلی الله علیه و آله و سلم فقال: «لا یزال أمر أمتیصالحا حتی یمضی اثنا عشر خلیفة» ثم قال کلمة و خفض بهاصوته، فقلت لعمیو کان أمامی-: ما قال یا عم؟ قال: یا بنی قال: «کلهم من قریش» ۳۵.

ص:۱۲

۱۲- و روی أیضا بسنده عن جریر عن المغیرة عن الشعبی عن جابر، قال: کنت عند رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم فسمعته یقول: «لا- یزال أمر هذه الأمة ظاهرا حتی یقوم اثنا عشر خلیفة» و قال کلمة خفیت علی، و کان أبی أدنی إلیه مجلسا منی فقلت: ما قال؟ فقال: «کلهم من قریش» ۳۶.

۱۳- قال ابن حجر فی الصواعق: أخرج الطبرانی عن جابر بن سمرةان النبیصلی الله علیه و آله و سلم قال: «یکون بعدی اثنا عشر أمیرا کلهم من قریش» ۳۷.

کما ان رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم قد شبه عدة خلفائه بعدة نقباء بنی اسرائیل.

۱۴- فقد روی أحمد بسنده عن مسروق، قال: کنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود و هو یقرئنا القرآن، فقال له رجل: یا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله کم یملک هذه الأمة من خلیفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألنی عنها أحد منذ قدمت العراق قبلک، ثم قال: نعم، و لقد سألنا رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم فقال: «اثنا عشر کعدة نقباء بنی إسرائیل» ۳۸.

۱۵- و رواه الخطیب فی تاریخه بسنده عن جابر بن سمرة ۳۹.

۱۶- و أورده المتقی الهندی فی منتخب کنز العمال عن أحمد و الطبرانی فی المعجم الکبیر، و الحاکم فی المستدرک ۴۰.

۱۷- قال السیوطی فی تاریخ الخلفاء بسند حسن عن ابن مسعود: إنه سئل کم یملک هذه الأمة من خلیفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم فقال: «اثنا عشر کعدة نقباء بنی إسرائیل» ۴۱.

إلی غیر ذلک من الأحادیث الدالة علی أن الأئمة بعد النبیالأکرمصلی الله علیه و آله و سلم اثنا عشر، و قد جاء فیها سماتهم وصفاتهم و عددهم، غیر أن المهم هو تعیین مصادیقها و الإشارة إلی أعیانها و أشخاصها، و لا تعلم إلا باستقصاء و حصر السمات الواردة فی هذه الأحادیث، و هذا ما یمکن إجماله بما یلی:

۱- لا یزال الإسلام عزیزا.

۲- لا یزال هذا الدین عزیزا منیعا.

۳- لا یزال الدین قائما.

۴- لا یزال أمر الأمةصالحا.

۵- لا یزال أمر هذه الامة ظاهرا.

۶- کل ذلک حتی یمضی فیهم اثنا عشر امیرا من قریش.

۷- و حتی یلیهم اثنا عشر خلیفة کلهم من قریش.

۸- و إن عددهم کعدد نقباء بنی إسرائیل.

و هذه السمات و الخصوصیات لا تتمثل مجتمعة إلا فی الأئمة الاثنی عشر المعروفین عند الفریقین، و هذه الأحادیث من أنباء الغیب و معجزات النبی الأکرمصلی الله علیه و آله و سلم، خصوصا إذا ضمت إلیها أحادیث

ص:۱۳

الثقلین و السفینة و کون أهل بیت النبی أمانا لأهل الأرض کما أن النجوم أمان لأهل السماء، و سیوافیک تفصیل هذه الأحادیث الثلاثة.

فالأئمة الاثنا عشر المعروفون بین المسلمین، و الذین ینادی بإمامتهمالشیعة الإمامیة، و الذین أولهم علی أمیر المؤمنین و آخرهم المهدی تنطبق علیهم تلک العلائم، و من وقف علی حیاتهم العلمیة و الاجتماعیة و السیاسیة یقف علی أنهم هم المثل الأعلی فی الأخلاق، و القمة السامقة فی العلم و العمل و التقوی و الإحاطة بالقرآن و السنة، و بهم حفظ الله تعالی دینه و أعز رسالته.

و أما ما ورد فی بعض هذه الطرق أن: «کلهم تجتمع علیهم الأمة» فهو علی فرض الصحة، فالمراد منه تجتمع علی الاقرار بإمامتهم جمیعا وقت ظهور آخرهم، وعلی فرض الإبهاملا تمنع عن الأخذ بمضامین الحدیث.

هلم معی نقرأ ما ذا یقول غیر الشیعة فی حق هذه الأحادیث، و کیف یؤولونها بالخلفاء القائمین بالأمر بعد النبی الأکرمصلی الله علیه و آله و سلم، و إلیک نصوص کلامهم:

۱- إن قوله اثنا عشر إشارة إلی عدد خلفاء بنی أمیة!! و أول بنی أمیة یزید بن معاویة و آخرهم مروان الحمار و عدتهم اثنا عشر، و لا یعد عثمان و معاویة و لا ابن الزبیر لکونهمصحابة، و لا مروان بن الحکم لکونهصحابیا أو لأنه کان متغلبا بعد أن اجتمع الناس علی عبد الله بن الزبیر، و لیس علی المدح بل علی استقامة السلطنة، و هم یزید بن معاویة و ابنه معاویة ثم عبد الملک ثم الولید ثم سلیمان ثم عمر بن عبد العزیز ثم یزید بن عبد الملک ثم هشام بن عبد الملک ثم الولید بن یزید ثم یزید بن الولید ثم إبراهیم بنالولید ثم مروان بن محمد ۴۲.

و جوابه: أنه لو کان الرسول أراد هذا و لم یکن فی مقام مدحهم فأی فائدة فی الإخبار بذلک. ثم کیف یقول انهاصدرت علی غیر سبیل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصریحة فی المدح مثل: «لا یزال هذا الدین عزیزا منیعا قائما»، أو «أمر أمتیصالحا». و العجب أنه جعل أول الخلفاء یزید بن معاویة بحجة أنه استقامت له السلطنة، مع أنه کیف استتبت له السلطنة و قد ثار علیه العراق فی السنة الأولی، و ثار علیه أهل المدینة فی السنة الثانیة، و کانت مجموع أیامه مؤلفة من حروب دامیة و قتل و نهب و تدمیر لا یقربهاصاحب ذرة من الشرف و الإیمان.

۲- «إن المراد أنه یملک اثنا عشر خلیفة بهذه السمات بعد وفاة المهدی» ۴۳ و هذا من أغرب التفاسیر، لأن الأخبار ظاهرة فی اتصال خلافتهم بعصر النبی الأکرمصلی الله علیه و آله و سلم، و لأجل تبادر ذلک فی أذهان الناس سألوا عبد الله بن مسعود عن عدد من یملک أمر هذه الأمة.

۳- ما نقله ابن حجر فی فتح الباری عن القاضی عیاض: ان المراد بهم الخلفاء الذین اجتمع علیهم الناس، و هم أبو بکر، و عمر، و عثمان، و علی، و معاویة، و یزید، و عبد الملک، و أولاده الأربعة، الولید ثم سلیمان ثمیزید ثم هشام، و عمر بن عبد العزیز بن سلیمان و یزید، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدین، و الثانی عشر هو الولید بن یزید بن عبد الملک ۴۴.

ص:۱۴

و لا یکاد ینقضی تعجبی من القاضی عیاض و ابن حجر کیف یعرفان هؤلاء بمن عز بهم الإسلام و الدین وصار منیعا و فیهم یزید بن معاویة ذلک السکیر المستهتر الذی کان یشرب الخمر و یدع الصلاة، و لم یکتف بذلک بل ضرب الکعبة بالمنجنیق، و أباح المدینة ثلاثة أیام بأعراضها و أموالها و أنفسها بعد قتله لابن بنت رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم الحسین بن علیعلیه السلامو اخوانه و أبنائه و خیرة أصحابه و سیر بنات رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلم سبایا دون حرمة لجدهم إلی الشام من أرض کربلاء، فلیت شعری ما هو میزان القوم فی تفسیرهم للسنة النبویة و تعاملهم معها، و کل الحقائق تکذب ما ذهبوا إلیه و ماصرحوا به.

و هل اعتز الإسلام بعبد الملک الذی یکفی فی ذکر مساوئه تنصیبه الحجاج علی العراق فقتل من الصحابة و التابعین ما لا یخفی. ۴۵؟!

و کیف اعتز الدین بالولید بن یزید بن عبد الملک المنتهک لحرمات الله الذی حاول أن یشرب الخمر فوق ظهر الکعبة ففتح المصحف فإذا بالآیة الکریمة: فاستفتحوا و خاب کل جبار عنید فألقاه و رماه بالسهام و أنشد:

تهددنی بجبار عنید فها أنا ذاک جبار عنید إذا ما جائت ربک یوم حشر فقل یا رب مزقنی الولید

و من أراد أن یقف علی جنایات الرجل و أقربائه و أجداده فلیقرأ التاریخ الذی اسودتصفحاته بأفعالهم الشنیعة التی لا یسترها شیء و لا یغفل عنها إلا السذج و البلهاء.

أقول: إن للکاتب القدیر السید محمد تقی الحکیم کلاما فی هذه الأحادیث یطیب لی نقله. قال: و الذی یستفاد من هذه الروایات:

۱- أن عدد الأمراء أو الخلفاء لا یتجاوز الاثنی عشر و کلهم من قریش.

۲- أن هؤلاء الأمراء معینون بالنص، کما هو مقتضی تشبیههم بنقباء بنی إسرائیل، لقوله تعالی: و لقد أخذ الله میثاق بنی إسرائیل و بعثنا منهم اثنی عشر نقیبا ۴۶.

۳- أن هذه الروایات افترضت لهم البقاء ما بقی الدین الإسلامی أو حتی تقوم الساعة کما هو مقتضی روایة مسلم: «ان هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی فیهم اثنا عشر خلیفة» و أصرح من ذلک روایته الأخری فی نفس الباب: «لا یزال هذا الأمر فی قریش ما بقی من الناس اثنان».

إذاصحت هذه الإستفادة فهی لا تلتئم إلا مع مبنی الإمامیة فی عدد الأئمة و بقائهم و کونهم من المنصوص علیهم من قبلهصلی الله علیه و آله و سلم و هی منسجمة جدا مع حدیث الثقلین و بقاؤهما حتی یراد علیه الحوض. وصحة هذه الإستفادة موقوفة علی أن یکون المراد من بقاء الأمر فیهم بقاء الإمامة و الخلافة بالاستحقاق لا بالسلطة الظاهریة، لأن الخلیفة الشرعی خلیفة یستمد سلطته من الله، و هی فی حدود السلطة التشریعیة لا التکوینیة، لأن هذا النوع من السلطة هو الذی تقتضیه وظیفته کمشرع، و لا ینافی ذلک ذهاب السلطة

ص:۱۵

منهم فی واقعها الخارجی و تسلط الآخرین علیهم، علی أن الروایات تبقی بلا تفسیر لو تخلینا عن حملها علی هـذا المعنی، لبداههٔ أن السلطهٔ الظاهریهٔ قد تولاها من قریش أضعاف أضعاف هـذا العدد، فضلا عن إنقراض دولهم و عدم النص علی أحد منهمأمویین و عباسیینباتفاق المسلمین.

و من الجدیر بالذکر أن هذه الروایات کانت مأثورهٔ فی بعض الصحاح و المسانید قبل أن یکتمل عدد الأئمهٔ، فلا تحتمل أن تکون من الموضوعات بعد إکتمال العدد المذکور، علی أن جمیع رواتها من أهل السنهٔ و من الموثوقین لدیهم، و لعلهم حیرهٔ کثیر من العلماء فی توجیه هـذه الأحادیث، و محاولهٔ ملائمتها للواقع التاریخی کان منشأها عدم تمکنهم من تکـذیبها، و من هنا تضاربت الأقوال فی توجیهها و بیان المراد منها.

و السیوطیبعد أن أورد ما قاله العلماء فی هـذه الأحادیث المشکلهٔخرج برأی غریب و هو: إنه وجد من الاثنی عشر الخلفاء الأربعهٔ، و الحسن، و معاویهٔ، و ابن الزبیر، و عمر بن عبد العزیز فی بنی أمیهٔ، و کذلک الظاهر لما اوتیه من العدل، و بقی اثنان منتظران، أحدهما المهدی لأنه من أهل بیت محمدصلی الله علیه و آله و سلم. و لم یبین المنتظر الثانی، و رحم الله من قال فی السیوطی: انه حاطب لیل.

یستفاد من حدیث الثقلین أمور مهمهٔ لو اهتمت بها الأمهٔ لاجتمعت علی مائدهٔ أهل البیت و استغنت عن غیرهم، و ها هی:

۱- إن اقتران العترهٔ الطاهرهٔ بالقرآن الکریم إشارهٔ إلی أن عندهم علم القرآن بحقیقته المنزلهٔ.

۲- إن التمسک بالکتاب و العترهٔ یعصم من الضلالهٔ و لا یغنی أحدهما عن الآخر.

۳- یحرم التقدم علی العترهٔ کما یحرم الابتعاد عنهم.

۴- إن العترهٔ لا تفارق الکتاب، و إنهما باقیان إلی یوم القیامهٔ.

أفیصح بعد هذه التصریحات و الإشارات الإعراض عن العترهٔ و لزوم غیرهم.

و قد اکتفینا من الوصایا فی حق علی و أهل بیتهعلیهم السلامبهذه الأحادیث الثلاثهٔ، و أرجئنا سائر الوصایا کحدیث یوم الانذار و حدیث الغدیر إلی آونهٔ أخری.

إذا وقفت علی هـذه الأحادیث الحاثهٔ علی لزوم الإقتفاء بعلی و أهل بیتهعلیهم السلامهلم معی نقرأ أسماء من اقتفی بعلی و إهتدی بهداه من الصحابهٔ و التابعین لهم بإحسان. و نکتفی بالمشاهیر من رواد التشیع فی ذلک القرن، و ذلک ما تقرأه فی البحث التالی:

الشیعهٔ فی کلمات المؤرخین و أصحاب الفرق:

قد غلب استعمال لفظ الشیعهٔ بعد عصر الرسول تبعا له فیمن یوالی علیا و أهل بیته و یعتقد بإمامته و وصایته، و یظهر ذلک من خلال کلمات المؤرخین و أصحاب المقالات و التی نشیر إلی بعضها:

۱- روی المسعودی فی حوادث وفاهٔ النبی: ان الإمام علیا أقام و من معه من شیعته فی منزله بعد أن تمت البیعهٔ لأبی بکر ۴۷.

ص:۱۶

۲- قال أبو مخنف: اجتمعت الشیعة فی منزل سلیمان بنصرد فذكروا هلاك معاویة فحمدنا الله علیه فقال: إن معاویة قد هلك، و إن حسینا قد تقبض علی القوم ببیعته و قد خرج إلی مكة و أنتم شیعته و شیعة أبیه ۴۸.

۳- و قال محمد بن أحمد بن خالد البرقی (ت ۲۷۴): إن أصحاب علی ینقسمون إلی الأصحاب ثم الأصفیاء ثم الأولیاء، ثم شرطة الخمیس ... و من الأصفیاء سلمان الفارسی، و المقداد، و أبو ذر، و عمار، و أبو لیلی، و شبیر، و أبو سنان، و أبو عمرة، و أبو سعید الخدری، و أبو برزة، و جابر بن عبد الله، و البراء بن عازب، و طرفة الأزدی ۴۹.

۴- و قال النوبختی (ت ۳۱۳): إن أول الفرق الشیعة، و هم فرقة علی ابن أبی طالب، المسمون شیعة علی فی زمان النبی و بعده، معروفون بانقطاعهم إلیه و القول بإمامته ۵۰.

۵- و قال أبو الحسن الأشعری: و إنما قیل لهم الشیعة، لأنهم شایعوا علیا، و یقدمونه علی سائر أصحاب رسول الله ۵۱.

۶- و یقول الشهرستانی: الشیعة هم الذین شایعوا علیا علی الخصوص، و قالوا بإمامته و خلافته نصا و وصیة ۵۲.

۷- و قال ابن حزم: و من وافق الشیعة فی أن علیا أفضل الناس بعد رسول الله و أحقهم بالإمامة، و ولده من بعده، فهو شیعی، و إن خالفهم فی ما عدا ذلك مما اختلف فیه المسلمون، فإن خالفهم فیما ذكرنا فلیس شیعیا ۵۳.

هذا غیض من فیض و قلیل من كثیر مما جاء فی كلمات المؤرخین و أصحاب المقالات، تعرب عن أن لفیفا من الأمة فی حیاة الرسول و بعده إلی عصر الخلفاء و بعدهم كانوا مشهورین بالتشیع لعلی، و أن لفظة الشیعة مما نطق بها الرسول و تبعته الأمة فی ذلك.

و أن الإمام علی و إن تسامح و تساهل فی أخذ حقهتبعا لمصالح عظیمة مكنونة فی مثل هذا التصرف الحكیمإلا أن حقیقة استخلاف النبی له أمست فكرة عقائدیة ثابتة فی النفوس و القلوب، و تضاعف عدد المؤمنین بها و المتشیعین له علی مرور الأیام، و رجع الكثیر من المسلمین إلی الماضی القریب، و احتشدت فی أذهانهمصور عن مواقف النبیصلی الله علیهو آله و سلم- تلك المواقف التی كان یصرح فیها باستخلاف علی من بعده تارة، و یلمح فیها أخری، فالتفوا حول علیعلیه السلامو أصبحوا من الدعاة الأوفیاء له فی جمیع المراحل التی مر بها، و ما زال التشیع ینمو و ینتشر بین المسلمین فی الأقطار المختلفة، یدخلها مع الإسلام جنبا إلی جنب، بل أن حقیقته استحكمت من خلال التطبیق العملی لهذا الاستخلاف عبر السنوات القصیرة التی تولی فیها الإمام علی منصب الخلافة بعد مقتل عثمان ابن عفان، فشاعت بین المسلمین أحادیث استخلافه، و وجد الناس من سیرته و زهده و حكمته ما أكد لهمصحة تلك المرویات، و أنه هو المختار لقیادة الأمة و حمایة القرآن و نشر تعالیمه و مبادئه ۵۴.

و إذا كان العنصر المقوم لإطلاق عبارة الشیعة هو مشایعة علی بعد النبی الأكرم فی الزعامة و الوصایة أولا، و فی الفعل و الترك ثانیا، فإنه من غیر المنطقی محاولة افتراض علة اجتماعیة أو سیاسیة أو كلامیة لتكون هذه الفرقة.

ص:۱۷

و من أجل أن ترتسم فی الأذهان الصورة واضحة عن مجسدی هذه التسمیة فی تلک الحقبة البعیدة فی التاریخ و الملاصقة لعصر الرسالة الأول، نستعرض جملة من رواد هذا المیدان المقدس و الذین یعدون بحق أوائل حملة هذه التسمیة المبارکة علی وجه الاجمال. و من أراد التفصیل فلیرجع إلی ما کتب حولهم من المؤلفات، و سنأتی بأسماء تلک الکتب فی آخر البحث:

رواد التشیع فی عصر النبی:

إن الاحالة للتعرف علی رواد التشیع إلی الکتب المؤلفة فی ذلک المضمار لا تخلو من عسر و غموض، قد تدفع بالأمر إلی جملة من المرادات و المناقشات، إلا إنا سنقتصر فی حدیثنا علی إیراد جملة من أولئک الصحابة الذین اشتهروا بالتشیع و نسبوا له:

۱- عبد الله بن عباس.

۲- الفضل بن العباس.

۳- عبید الله بن العباس.

۴- قثم بن العباس.

۵- عبد الرحمان بن العباس.

۶- تمام بن العباس.

۷- عقیل بن أبی طالب.

۸- أبو سفیان بن الحرث بن عبد المطلب.

۹- نوفل بن الحرث.

۱۰- عبد الله بن جعفر بن أبی طالب.

۱۱- عون بن جعفر.

۱۲- محمد بن جعفر.

۱۳- ربیعة بن الحرث بن عبد المطلب.

۱۴- الطفیل بن الحرث.

۱۵- المغیرة بن نوفل بن الحارث.- عبد الله بن الحرث بن نوفل.

۱۷- عبد الله بن أبی سفیان بن الحرث.

۱۸- العباس بن ربیعة بن الحرث.

۱۹- العباس بن عتبة بن أبی لهب.

۲۰- عبد المطلب بن ربیعة بن الحرث.

۲۱- جعفر بن أبی سفیان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهیر بنی هاشم، و أما غیرهم فإلیک أسماء لفیف منهم:

ص:۱۸

۲۲- سلمان المحمدی.

۲۳- المقداد بن الأسود الکندی.

۲۴- أبو ذر الغفاری.

۲۵- عمار بن یاسر.

۲۶- حذیفهٔ بن الیمان.

۲۷- خزیمهٔ بن ثابت.

۲۸- أبو أیوب الأنصاری، مضیف النبی.

۲۹- أبو الهیثم مالک بن التیهان.

۳۰- أبی بن کعب.

۳۱- سعد بن عبادهٔ.

۳۲- قیس بن سعد بن عبادهٔ.

۳۳- عدی بن حاتم.

۳۴- عبادهٔ بن الصامت.- بلال بن رباح الحبشی.

۳۶- أبو رافع مولی رسول الله.

۳۷- هاشم بن عتبهٔ.

۳۸- عثمان بن حنیف.

۳۹- سهل بن حنیف.

۴۰- حکیم بن جبلهٔ العبدی.

۴۱- خالد بن سعید بن العاص.

۴۲- ابن الحصیب الأسلمی.

۴۳- هند بن أبی هالهٔ التمیمی.

۴۴- جعدهٔ بن هبیرهٔ.

۴۵- حجر بن عدی الکندی.

۴۶- عمرو بن عدی الحمق الخزاعی.

۴۷- جابر بن عبد الله الأنصاری.

۴۸- محمد بن أبی بکر.

۴۹- أبان بن سعید بن العاص.

۵۰- زید بنصوحان العبدی.

ص:۱۹

هؤلاء خمسونصحابیا من الطبقة الأولی للشیعة، فمن أراد التفصیل و الوقوف علی حیاتهم و تشیعهم فلیرجع إلی الکتب المؤلفة فی الرجال، و لکن بعین مفتوحة و بصیرة نافذة.

و فی الختام نورد ما ذکره محمد کرد علی فی کتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعة من کبار الصحابة بموالاة علی فی عصر رسول اللهصلی الله علیهو آله و سلممثل سلمان الفارسی القائل: بایعنا رسول الله علی النصح للمسلمین و الائتمام بعلی بن أبی طالب و الموالاة له.

و مثل أبی سعید الخدری الذی یقول: امر الناس بخمس فعملوا بأربع و ترکوا واحدة.

و لما سئل عن الأربع، قال: الصلاة، و الزکاة، وصوم شهر رمضان، و الحج.

قیل: فما الواحدة التی ترکوها؟

قال: ولایة علی بن أبی طالب.

قیل له: و انها لمفروضة معهن؟

قال: نعم هی مفروضة معهن.

و مثل أبی ذر الغفاری، و عمار بن یاسر، و حذیفة بن الیمان، و ذو الشهادتین خزیمة بن ثابت، و أبی أیوب الأنصاری، و خالد بن سعید، و قیس بن سعد بن عبادة ۵۵.

الکتب المؤلفة حول رواد التشیع:

إن لفیفا من علماء الإمامیة و مفکریها قاموا بإفراد العدید من المؤلفات القیمة و التی تناولت فی متونها بالشرح و التفصیل ما یتعلق برواد التشیع الأوائل و دورهم فی تثبیت الأرکان العقائدیة للفکر الإسلامی الناصع، نذکر فی هذا المقام ما وقفنا علیه:-صدر الدین السید علی المدنی الحسینی الشیرازی،صاحب کتاب سلافة العصر فی محاسن الشعراء بکل مصر، و أنوار الربیع فی علم البدیع، و طراز اللغة، توفی عام (۱۱۲۰ ه) أفرد تألیفا فی ذلک المجال أسماه ب «الدرجات الرفیعة فی طبقات الشیعة الإمامیة» خص الطبقة الأولی بالصحابة الشیعة، و خصص الباب الأول لبنی هاشم من الصحابة، و الباب الثانی فی غیرهم منهم. و قام فی الباب الأول بترجمة (۲۳)صحابیا من بنی هاشم لم یفارقوا علیا قط، کما قام فی الباب الثانی بترجمة (۴۶)صحابیا ۵۶.

۲- ذکر الشیخ محمد حسین ال کاشف الغطاء فی کتابه «أصل الشیعة و أصولها» أسماء جماعة من الصحابة الذین کانوا یشایعون علیا فی حله و ترحاله و قالمعلقا علی قول أحمد أمین الکاتب المصری: «و الحق أن التشیع کان مأوی یرجع إلیه کل من أراد هدم الإسلام»-: و نحن لو لا محافظتنا علی میاه الصفا أن لا تتعکر، و نیران البغضاء أن لا تتسعر، و أن تنطبق علینا حکمة القائل: «لا تنه عن خلق و تأتی بمثله» لعرفناه من الذی یرید هدم قواعد الإسلام بمعاول الالحاد و الزندقة، و من الذی یسعی لتمزیق وحدة المسلمین بعوامل التقطیع و التفرقة، و لکنا نرید أن نسأل ذلک الکاتب: أی طبقة من طبقات الشیعة أرادت هدم الإسلام؟ هل الطبقة الاولی و هم أعیانصحابة النبی و أبرارهم کسلمان المحمدی أو الفارسی، و أبی ذر، و المقداد، و عمار، و خزیمة ذی الشهادتین، و ابن التیهان، و حذیفة ابن الیمان، و الزبیر، و الفضل بن العباس، و أخیه الحبر عبد الله، و هاشم بن عتبة المرقال، و أبی أیوب

ص:۲۰

الأنصاری، و أبان و أخیه خالد بن سعید بن‌العاص، و أبی بن کعب سید القراء، و أنس بن الحرث بن نبیه، الذی سمع النبی یقول: «إن ابنی الحسین یقتل فی أرض یقال لها کربلاء فمن شهد ذلک منکم فلینصره، فخرج أنس و قتل مع الحسین» راجع الإصابة و الاستیعاب و هما من أوثق ما ألف علماء السنة فی تراجم الصحابة، و لو أردت أن أعد علیک الشیعة من الصحابة و اثبات تشیعهم من نفس کتب السنة لأحوجنی ذلک إلی أفراد کتاب ضخم ۵۷.

۳- کما أن الإمام السید عبد الحسین شرف الدین (۱۲۹۰- ۱۳۷۷) قام بجمع أسماء الشیعة فی الصحابة حسب حروف الهجاء، و قال: و إلیک اکمالا للبحث بعض ما یحضرنی من أسماء الشیعة من أصحاب رسول الله لتعلم أن بهم اقتدینا، و بهدیهم اهتدینا، و سأفرد لهمإن وفق اللهکتابا یوضح للناس تشیعهم، و یحتوی علی تفاصیل شؤونهم، و لعل بعض أهل النشاط من حملة العلم و سدنة الحقیقة یسبقنی إلی تألیف ذلک الکتاب، فیکون لی الشرف إذ خدمته بذکر أسماء بعضهم فی هذا الباب و هی علی ترتیب حروف الهجاء.

ثم ابتدأ بأبی رافع القبطی مولی رسول الله، و ختمهم بیزید بن حوثرة الأنصاری، و لم یشر إلی شیء من حیاتهم، و إنما ألقی ذلک علی الأمل أو علی من یسبقه من بعض أهل النشاط.

إلاـ أنه رحمه الله ذکر ما یربو علی المائتین من أسمائهم ۵۸.- قام الخطیب المصقع الدکتور الشیخ أحمد الوائلی «حفظه الله» بذکر أسماء رواد التشیع فی عصر الرسول فی کتابه المطبوع «هویة التشیع» فجاء باسم مائة و ثلاثین من خلص أصحاب الإمام من الصحابة الکرام، و قال بعد ذکره لتنویه النبی باستخلاف علی فی غیر واحد من المواقف: و لا یمکن أن تمر هذه المواقف و الکثیر من أمثالها من دون أن تشد الناس لعلی، و دون أن تدفعهم للتعرف علی هذا الانسان الذی هو وصی النبی، ثم لا بد للمسلمین من اطاعة الأوامر التی وردت فی النصوص، و الالتفات حول من وردت فیه. ذلک معنی التشیع الذی نقول ان النبیصلی الله علیه و آله و سلمهو الذی بذر بذرته، و قد أینعت فی حیاته، و عرف جماعة بالتشیع لعلی و الالتفاف حوله، و للتدلیل علی ذلک سأذکر لک أسماء الرعیل الأول من الصحابة الذین عرفوا بتشیعهم للإمام علی ۵۹.

۵- آخرهم و لیس أخیرهم کاتب هذه السطور حیث قام مجیبا دعوة السید شرف الدین فألف کتابا فی ذلک المجال فی عدة أجزاء، نشر منه جزءان، و انتهینا فی الجزء الثانی من ترجمة أبی ذر (جندب بن جناده) ذلک الصحابی العظیم، و الکتاب باللغة الفارسیة، و نقله إلی العربیة الشیخ المحقق البارع جعفر الهادی و طبع و نشر.

و أخیرا فإن من أراد أن یقف بشکل جلی علی رواد التشیع فی کتب الرجال لأهل السنة فإن هذا الأمر لیس بمتعسر و لا بممتنع، و التی یمکننا الإشارة إلی البعض منها أمثال:- الاستیعاب لابن عبد البر (ت ۴۵۶).

۲- أسد الغابة للجزری (ت ۶۰۶).

۳- الإصابة لابن حجر (ت ۸۵۲).

و غیر ذلک من أمهات کتب الرجال المعروفة.

پی‌نوشتها:

ص:۲۱

۱- الحجرات/. ۱

۲- الدر المنثور للسیوطی ۶/. ۵۸۹

۳ الدر المنثور للسیوطی ۶/. ۵۸۹

۴- نفس المصدر.

۵- نفس المصدر.

۶- الصواعق ۱۶۱ طبع کلیة القاهرة.

۷- النهایة مادة قمح ۴/ ۱۰۶ و رواه ابن حجر فی الصواعق. ۱۵۴

۸- ربیع الأبرار.

۹- الصواعق. ۱۶۱

۱۰- نفس المصدر.

۱۱- نفس المصدر.

۱۲- الصواعق. ۱۶۱

۱۳- مناقب المغازلی. ۲۹۳

۱۴- مناقب المغازلی ۲۸۱، و رواه السید البحرانی فی غایة المرام عنه، و أنت إذا تدبرت فی الآیات الدالة علی سریان العلم و الشعور فی عامة الموجودات مثل قوله: و إن منها لما یهبط من خشیة اللهالبقرة/ ۷۴- تستطیع أن تصدق ما جاء فی الحدیث من شهادة العقیق بوحدانیة الله.

۱۵- علل الشرائع ۱۵۸ طبع النجف.

۱۶- الصواعق. ۱۶۱

۱۷- علل الشرائع ۱۵۶ طبع النجف.

۱۸- کنز العمال ۱/ ۴۴، أخرجه الترمذی و النسائی عن جابر.

۱۹- کنز العمال ۱/ ۴۴، أخرجه الترمذی عن زید بن أرقم.

۲۰- مسند أحمد ۵/ ۱۸۲، ۱۸۹

۲۱- المستدرک للحاکم ۳/. ۱۴۸

۲۲- مسند أحمد ۳/ ۱۷- ۲۶، أخرجه من حدیث أبی سعید الخدری.

۲۳- مستدرک الحاکم ۳/ ۱۰۹، أخرجه من حدیث زید بن أرقم.

۲۴- رواه الحاکم فی مستدرک بسنده عن أبی ذر ۳/. ۱۵۱

۲۵- الأربعون حدیثا للنبهانی ۲۱۶ نقله عن الطبرانی فی الأوسط.

۲۶- رواه الحاکم فی مستدرکه بسنده عن ابن عباس ۳/. ۱۴۹

۲۷- الصواعق لابن حجر (الباب الحادی عشر): ۹۱، ۱۴۲

ص:۲۲

۲۸- لاحظ الصواعق (الباب الحادی عشر):. ۹۱

۲۹-صحیح البخاری ۹/ ۱۰۱، کتاب الأحکام، الباب ۵۱ (باب الاستخلاف).

۳۰-صحیح مسلم ۶/. ۳

۳۱-صحیح مسلم ۶/ ۳-. ۴

۳۲-صحیح أبی داود ۲، کتاب المهدی ۲۰۷ (طبع مصر) و روی أیضا نحوه بطریقین آخرین.

۳۳-صحیح الترمذی ۲/ ۴۵ (طبع عام ۱۳۴۲).

۳۴- مسند أحمد ۵/ ۸۶-. ۱۰۸

۳۵- المستدرک علی الصحیحین (کتاب معرفة الصحابة) ۳/ ۶۱۷- ۶۱۸ (طبع الهند).

۳۶- المصدر نفسه.

۳۷- الصواعق. ۱۸۹

۳۸- مسند أحمد ۱/. ۳۹۸

۳۹- تاریخ بغداد ۱۴/ ۳۵۳ برقم. ۷۶۷۳

۴۰- منتخب کنز العمال بهامش مسند أحمد ۵/. ۳۱۲

۴۱- تاریخ الخلفاء. ۱۰

۴۲- فتح الباری فی شرحصحیح البخاری ۱۳/ ۲۱۲ ط دار المعرفة. و فی المصدر: عدتهم ثلاثة عشر.

۴۳- المصدر نفسه ۱۳/ ۲۱۳ و مثله ما نقله أیضا: اثنا عشر خلیفة فی جمیع مدة الإسلام إلی یوم القیامة.

۴۴- فتح الباری فی شرحصحیح البخاری ۱۳/ ۲۱۳، و لا حظ تاریخ الخلفاء. ۱۱

۴۵- تاریخ الخلفاء ۲۵۰ و غیره.

۴۶- المائدة/. ۱۲

۴۷- الوصیة للمسعودی ۱۲۱ طبع النجف.

۴۸- مقتل الإمام الحسین لأبی مخنف: تحقیق حسن الغفاری ۱۵ و لا حظ. ۱۶

۴۹- الرجال للبرقی: (طبع طهران)، و لا حظ فهرست ابن الندیم ۲۶۳ (طبع القاهرة) و عبارته قریبة من عبارة البرقی.

۵۰- فرق الشیعة. ۱۵

۵۱- مقالات الإسلامیین ۱/ ۶۵ طبع مصر.

۵۲- الملل و النحل ۱/. ۱۳۱

۵۳- الفصل فی الملل و النحل ۲/ ۱۱۳ طبع بغداد.

۵۴- الشیعة بین الأشاعرة و المعتزلة ۲۸-. ۲۹

۵۵- خطط الشام ۵/. ۲۵۱

ص:۲۳

۵۶- الدرجات الرفيعة ۷۹- ۴۵۲ طبع النجف.

۵۷- أصل الشيعة و اصولها ۵۳- ۵۴ مطبة العرفان.

۵۸- الفصول المهمة فى تأليف الأمة ۱۷۹-. ۱۹۰

۵۹- هوية التشيع. ۳۴

ص:۲۴

افتراضات وهمیهٔ

اشارهٔ

لقد تقدم الحدیث منا فی الصـفحات السابقهٔ حول ما یمکن تسـمیته بنشأهٔ التشیع، و التی تبین لنا بوضوح أنه لا فصل هنا بین النشأتین، تأریـخ نشأهٔ الإسـلام، و نشأهٔ التشـیع، و أنهما وجهان لعملـهٔ واحـدهٔ، إلا أن هناک جماعهٔ من المؤرخین و کتاب المقالات ممن قادهم الوهم و سوء الفهم إلی اعتبار التشـیع أمر حادث و طاریء علی المجتمع الإسـلامی، فأخذوا یفتشون عن مبدئه و مصدره، و أشد تلک الظنـون عدوانیـهٔ فیـه مـا تلوکه أشـداق بعض المتقـدمین و المتـأخرین، هـو کـونه ولیـد عبـد الله بـن سـبأ ذلـک الرجـل الیهـودی، الذیزعمهمطاف الشـرق و الغرب، و أفسد الأمور علی الخلفاء و المسـلمین، و ألب الصـحابهٔ و التابعین علی عثمان فقتل فی عقر داره، ثم دعـا إلی علی بالإمامـهٔ و الوصایـهٔ، و إلی النبی بالرجعـهٔ، و کون مـذهبا باسم الشـیعهٔ، فهو کما یتصور هؤلاء وصوروه لغیرهمصـنیع ذلک الرجل الیهودی المتظاهر بالإسـلام. و بما أن لهـذا الموضوع أهمیـهٔ خاصهٔ لما احتلته من المساحهٔ الواسـعهٔ فی أذهان العدید من السـذج و السـطحیین، فإنا لا نکتفی ببیان توهم واحـد بل نأتی علی ذکر کل تلک الإدعاءات واحـدهٔ بعد الأخری، مع رعایهٔ التسلسـل الزمنی.

الافتراض الأول: الشیعهٔ و یوم السقیفهٔ

لیس بخاف علی أحد مدی الانعطافهٔ الخطیرهٔ التی حدثت فی تاریخ الإسلام عقب انتهاء مؤتمر سقیفهٔ بنی ساعدهٔ، و ما ترتب علیه من جملهٔ من النتائج و القرارات الخطیرهٔ.

و الحق یقال ان هـذا المؤتمر الـذی ضم بینصـفوفهٔ ثلهٔ کبیرهٔ من وجوه الصـحابهٔمن المهاجرین و الأنصارقد أغفل عند انعقاده الواجب الأعظم فی إکرام رسول اللهصـلی الله علیه و آلهصاحب الفضل الأکبر فیما وصل إلیه الجمیععند ما ترک مسـجی بین یدی أهل بیته و انشغلوا بما کان من غیر الإنصاف أن ینسب إلیهصلی الله علیه و آلهمن قصور لا عذر فیه فی ترک الأمهٔ حائرهٔ به بعد موته.

أقول: و نتیجهٔ لانشـغالهم ذاک فقد حرموا من واجب إکرام الرسولصـلی الله علیه و آلهجله، ففاتهم أعظمه، و قصروا فی تأدیته، و کان لأهل بیته وحدهم ذلک الدور کله، فأوفوه، و لم یألوا فی ذلک جهدا. و إذا کان المؤتمرون فی

ص:۲۵

السقيفة قد خرجوا إلى الملأ بقرار كان ثمرة مخاض عسير و اعتراكصعب، فإنه أوضح و بلا أدنى ريب تبعثر الآراء و اختلافها، بل و ظروف خطرة كان من الممكن أن تؤدى بالجهد العظيم الذى بذله رسول اللهصلى الله عليه و آلهو من معه من المؤمنين فى إرساء دعائم هذا الدين و تثبيت أركانه، و أوضحتو ذاك لا خفاء عليهإن من غير المنطقى لرسول اللهصلى الله عليه و آلهأن يرحلمع أنه لم يفاجأه الموتدون أن يدرك هذه الحقيقة التى ليس هو ببعيد عنها، و لا يمكن أن يتغاضى عنها، و هو الذى ما خرج فى أمر جسيم إلا و خلف عنه من ينوبه فى إدارة شؤون الأمة فى فترة غيابه التى لا يلبث أن يعود منها بعد أيام معدودات، فكيف بالرحيل الأبدى!

نعم إن هذا الأمر لا بد و إن يستوقف كل ذى لب و عقل مستنير.

كما أن الاستقراء المتأنى لأحداث السقيفة قد أوضحت و بقوة فى أثناء المؤتمر و بعده وجود تيار قوى و متماسك تبنته جملة من وجوه الصحابة و متقدميها، و عمدت إلى التذكير بوجوده و الاجهار به، و لو قادهم هذا الأمر إلى الاقتتال دون تنفيذه، و ذاك الأمر هو الاصرار على إيكال أمر الخلافة إلى على بن أبى طالبعليه السلامدون غيره، رغم ابتعادهعليه السلامعن ساحة الاعتراك و ميدان التنازع فى تلك السقيفة.

و لعل تمسك هذه الثلة من الصحابة بموقفها من بيعة الإمام دون غيره هو ما دفع بعض المؤرخين إلى الذهاب بأن التشيع كان وليد هذا المؤتمر و نتاج مخاضه، و إن يليهم آخرون يتعبدون بهذا الرأى و يرتبون من خلاله تصوراتهم و أفكارهم، فيتشعب ذلك إلى جملة واسعة من المتبنيات غيرالواقعية و القائمة على أرض واسعة من الأوهام و الاسترسال غير المنطقى.

و لعل هذا التصورات تعتمد فى فهمها أساسا لمبدأ نشأة التشيع على ما سبق أن رواه الطبرى و غيره عن مجريات هذا المؤتمر و ما ترتب عليه من نتائج، دون ان تمد بصرها إلى أبعد من هذه النقطة اللامعة التى أعمتهم عن التأمل فى أبعادها، قال الطبرى: اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم و معه عمر و أبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير و منكم أمير، فقال أبو بكر: منا الأمراء و منكم الوزراءإلى أن قال:- فبايعه عمر و بايعه الناس، فقالت الأنصارأو بعض الأنصار- : لا نبايع إلا عليا.

ثم قال (أى الطبرى): أتى عمر بن الخطاب منزل على و فيه طلحة و الزبير و رجال من المهاجرين، فقال: و الله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة.

فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.

و قال أيضا: و تخلف على و الزبير، و اخترط الزبير سيفه و قال: لا أغمده حتى يبايع على. فبلغ ذلك أبا بكر و عمر فقالا: خذوا سيف الزبير ١.

و قال اليعقوبى فى تاريخه: و مالوا مع على بن أبى طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس، و الزبير بن العوام بن‌العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسى، و أبو ذر الغفارى، و عمار بن ياسر، و البراء بن عازب، و أبى بن كعب ٢.

ص:۲۶

و روى الزبير بن بكار فى الموفقيات: ان عامة المهاجرين و جل الأنصار كانوا لا يشكون أن عليا هوصاحب الأمر.

و روى الجوهرى فى كتاب السقيفة: ان سلمان و الزبير و بعض الأنصار كان هواهم ان يبايعوا عليا.

و روى أيضا: انه لما بويع أبو بكر و استقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته، و لام بعضهم بعضا، و هتفوا باسم الإمام على، و لكنه لم يوافقهم ۳.

و روى ابن قتيبة فى الإمامة و السياسة (۱۲): كان أبو ذر وقت أخذ البيعة غائبا [عن هذه الأحداث] فلما جاء قال: أصبتم قناعة، و تركتم قرابة، لو جعلتم الأمر فى أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم الأثنان.

و قال سلمان: أصبتم ذا السن، و أخطأتم المعدن، أما لو جعلتموه فيهم ما اختلف منكم إثنان، و لأكلتموها رغدا.

و هكذا فمن خلال هذه النصوص المتقدمة و غيرها اعتقد ذاك البعضالذى أشرنا إليه سابقاإن مبتدأ التشيع و نشأته كان فى تلك اللحظات الحرجة فى تأريخ الإسلام، متناسين ان ما أعتمدوه فى بناء تصوراتهم هو ما ينقضها و يثبت بطلانها، فإن المتأمل فى هذه النصوص يظهر له و بوضوح أن فكرة التشيع لعلى ليست وليدة هذا الظرف المعقد، و ثمرة اعتلاجه، و نقيض تصوره، بقدر ما تؤكد على أن هذه الفكرة كانت مختمرة فى أذهانهم و مذكورة فى عقولهم و لسنين طوال، فلما رأت هذه الجماعة انصراف الأمر إلى جهة لم تكن فى حساباتهم و لا فى حدود تصوراتهم، و انحساره عما كان معهودا به إليهم، عمدوا إلى التمسك به بالاجتماع فى بيت على و الإعلانصراحة عن موقفهم و معتقدهم.

نعم إن من غير المتوقع و المعهود أن يجتمع رأى هذه الجماعةالتى تؤلف خلاصة غنية من متقدمى الصحابةعلى هذا الأمر فى تلك اللحظات المضطربة و المليئة بالمفاجئات، و أن يترتب عليه موقفا موحدا ثابتا، فهذا الأمر يدل بوضوح على أنه ما كان وليد يومه و نتاج مخاضه.

و مما يؤكد ذلك و يقوى أركانه ما نقلته جميع مصادر الحديث المختلفة من نداءات رسول اللهصلى الله عليه و آلهو توصياته بحق على و عترته و شيعته فى أكثر من مناسبة و مكان، و ما كان يشير إليهصلى الله عليه و آلهمن فضل شيعة على و مكانتهم، و التأكيد على وجوب ملازمتهم، و فى هذا دلالة لا تقبل النقض على أن التشيع ما كان وليد السقيفة أو ردة رافضة آنية لمجريات أحداثها، بل إن هذا الوجود يمتد عميقا مع نشأة الإسلام و اشتداد عوده فى زمن النبى محمدصلى الله عليه و آلهو حياته المباركة المقدسة.

الافتراض الثانى: التشيعصنيع عبد الله بن سبأ

لنقرأ ما كتبه الطبرى حول هذا الوهم المصطنع:

قال: «إن يهوديا باسم عبد الله بن سبأ المكنى بابن السوداء فيصنعاءأظهر الإسلام فى عصر عثمان و اندس بين المسلمين، و أخذ يتنقل فى حواضرهم و عواصم بلادهم: الشام، و الكوفة، و البصرة، و مصر، مبشرا بأن للنبى الأكرم رجعة كما أن لعيسى بن مريم رجعة، و أن عليا هو وصى محمدصلى الله عليه و آله و سلمكما كان

ص:۲۷

لکل نبی وصـی، و أن علیا خاتم الأوصیاء کما أن محمدا خاتم الأنبیاء، و أن عثمان غاصب حق هذا الوصی و ظالمه، فیجب مناهضته لإرجاع الحق إلی أهله».

«إن عبـد الله بن سـبأ بث فی البلاد الإسـلامیة دعاته، و أشار علیهم أن یظهروا الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر، و الطعن فی الامراء، فمـال إلیه و تبعه علی ذلـک جماعـات من المسـلمین، فیهم الصـحابی الکبیر و التـابعی الصالـحمن أمثـال أبی ذر، و عمار بن یاسـر، و محمد بن حذیفة، و عبد الرحمان بن عدیس، و محمد بن أبی بکر، وصعصعة بنصوحان العبدی، و مالک الأشتر، إلی غیرهم من أبرار المسـلمین و أخیـارهم، فکـانت السـبأیة تثیر النـاس علی ولاتهم، تنفیـذا لخطـة زعیمها، و تضع کتبا فی عیوب الأمراء و ترسل إلی غیر مصـرهم من الأمصار. فنتـج عن ذلک قیام جماعات من المسـلمینبتحریض السـبأیینو قـدومهم إلی المدینة و حصـرهم عثمان فی داره، حتی قتل فیها، کل ذلک کان بقیادة السبأیین و مباشرتهم».

«إن المسلمین بعد ما بایعوا علیا، و نکث طلحة و الزبیر بیعته و خرجا إلی البصرة، رأی السبأیون أن رؤساء الجیشین أخذوا یتفاهمون، و أنه إن تـم ذلک سـیؤخذون بـدم عثمان، فاجتمعوا لیلا و قرروا أن ینـدسوا بین الجیشـین و یثیروا الحرب بکرة دون علم غیرهم، و انهم اسـتطاعوا أن ینفذوا هذا القرار الخطیر فی غلس اللیل قبل أن ینتبه الجیشان المتقاتلان، فناوش المندسون من السیاسیین فی جیش علی من کان بازائهم من جیش البصـرة، ففزع الجیشان و فزع رؤسائهما، و ظن کل بخصـمه شـرا، ثم إن حرب البصـرة وقعت بهذا الطریق، دون أن یکون لرؤساء الجیشین رأی أو علم».

و روی الطبری عن هذا الوهم فی موضع آخر من کتابه:

«فیما کتب به إلی السـری، عن شـعیب، عن سـیف، عن عطیـة، عن یزید الفقعسـی، قال: کان عبد الله بن سـبأ یهودیا من أهلصـنعاء أمه سوداء، فأسـلم زمان عثمان، ثم تنقل فی بلدات المسـلمین یحاول أضـلالهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصـرة، ثم الکوفة، ثم الشام، فلم یقدر علی ما یرید عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتی أتی مصر فاعتمر فیهم، فقال لهم فیما یقول: العجب فیمن یزعم أن عیسی یرجع و یکـذب بأن محمدا یرجع، و قد قال الله عز و جل: إن الذی فرض علیک القرآن لرادک إلی معاد ۴، فمحمد أحق بالرجوع من عیسی. قال: فقبل ذلک عنه، و وضع لهم الرجعة فتکلموا فیها، ثم قال لهم بعد ذلک: إنه کان ألف نبی، و لکل نبی وصـی، و کان علی وصی محمـد. ثم قال: محمد خاتم الأنبیاء و علی خاتم الأوصـیاء. ثم قال بعد ذلک: من أظلم ممن لم یجز وصـیة رسول اللهصـلی الله علیه و آله و سلمو وثب علی وصی رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلمو تناول أمر الأمة. ثم قال لهم بعد ذلک: إن عثمان أخذها بغیر حق و هـذا وصـی رسـول اللهصـلی الله علیـه و آلـه و سـلمفانهضوا فی هـذا الأـمر فحرکـوه، و ابـدأوا بـالطعن علی امرائکـم، و أظهروا الأـمر بالمعروف و النهی عن المنکر تستمیلوا الناس، و ادعوهم إلی هذا الأمر. فبث دعاته، و کاتب من کان استفسد فی الأمصار و کاتبوه، و دعـوا فی السـر إلی مـا علیه رأیهم، و أظهروا الأـمر بـالمعروف و النهی عن المنکر، و جعلـوا یکتبون إلی الأمصـار بکتب یضـعونها فی عیوب ولاتهم، و یکاتبهم اخوانهم بمثل ذلک، و یکتب أهل کل مصر منهم إلی مصر آخر بما یصنعون، فیقرأه أولئک فی أمصارهم، و

ص:۲۸

هؤلاء فی أمصارهم، حتی تناولوا بذلک المدینة و أوسعوا الأرض إذاعة، و هم یریدون غیر ما یظهرون، و یسرون غیر ما یبدون ... إلی آخر ما یذکره الطبری فی المقام» حتی یتوقف عن إیراد هذه الأحداث بعد حرب الجمل و لا یأتی بعد ذلک بشیء عن السبأیة. ۵.

و هکذا فقد تبین لک مما أوردناه عن الطبری إن جلة من فضلاءالصحابة قد عدوا من کبار السبأیة و قادتها، و هم الذین کانوا یعرفون بالزهد و التقی و الصدق و الصفا، فأما عبد الرحمان بن عدیس البلوی: فهو ممن بایع النبی تحت الشجرة و شهد فتح مصر، و کان رئیسا علی من سار إلی عثمان من مصر ۶.

و أما محمد بن أبی بکر: فأمه أسماء بنت عمیس الخثعمیة، تزوجها أبو بکر بعد استشهاد جعفر بن أبی طالب فولدت له محمدا فی حجة الوداع بطریق مکة، ثم نشأ فی حجر علی بعد أبیه، و شهد معه حرب الجمل، کما شهدصفین، ثم ولی مصر عن علی إلی أن قتل فیها بهجوم عمرو بن العاص علیها ۷.

و أماصعصعة بنصوحان العبدی: فقد أسلم علی عهد رسول الله و کان خطیبا مفوها، شهدصفین مع علی. و لما استشهد علی و استولی معاویة علی العراق نفاه إلی البحرین و مات فیها ۸.

و أما الأشتر: فهو مالک بن الحرث النخعی، و هو من ثقات التابعین، شهد وقعة الیرموک، وصحب علیا فی الجمل وصفین، ولاه علی مصر سنة (۳۸ ه) و لما وصل إلی القلزم دس إلیه معاویة السم بواسطة أحد عملائه فتوفی مسموما ۹.

هذا هو الذی ذکره الطبری، و قد أخذه من جاء بعده من المؤرخین و کتاب المقالات حقیقة راهنة، و بنوا علیه ما بنوا من الأفکار و الآراء، فصارت الشیعة ولیدة السبأیة فی زعم هؤلاء عبر القرون و الأجیال، و من الذین وقعوا فی هذا الخطأ الفاحش دون فحص و تأمل فی حقائق الامور:

۱- ابن الأثیر (ت ۶۳۰ ه)، فقد أورد القصة منبثة بین حوادث (۳۰- ۳۶ ه) و هو و إن لم یذکر المصدر فی المقام، لکنه یصدر عن تاریخ الطبری فی حوادث القرون الثلاث الاول ۱۰.

۲- ابن کثیر الشامی (ت ۷۷۴ ه) فقد ذکر القصة فی تاریخه «البدایة و النهایة» و أسندها عند ما انتهی من سرد واقعة الجمل إلی تاریخ الطبری، و قال: هذا ملخص ما ذکره أبو جعفر بن جریر ۱۱.

۳- ابن خلدون (ت ۸۰۸ ه)، فی تاریخه «المبتدأ و الخبر» أورد القصة فی حادثة الدار و الجمل و قال: هذا أمر الجمل ملخصا من کتاب أبی جعفرالطبری ۱۲.

و أما من جاء بعد أولئک المؤرخین و أخذوا ما أورده السابقون مأخذ التسلیم فنذکر منهم:

۴- محمد رشید رضا، منشیء مجلة المنار (ت ۱۳۵۴ ه)، ذکره فی کتابه «السنة و الشیعة» و قال: و کان مبتدع اصوله (أی التشیع) یهودی اسمه عبد الله بن سبأ، أظهر الإسلام خداعا، و دعا إلی الغلو فی علی کرم الله وجهه، لأجل تفریق هذه الأمة، و افساد دینها و دنیاها علیها، ثم سرد القصة و قال: و من راجع أخبار واقعة الجمل فی تاریخ ابن الأثیر مثلا یری مبلغ تأثیر افساد السبأیین دون ما کاد یقع من الصلح ۱۳.

ص:۲۹

۵- أحمد أمین (ت ۱۳۷۲ ه)، و هو الذی استبطل عبد الله بن سبأ فی کتابه «فجر الإسلام» و قال: إن ابن السوداء کان یهودیا منصنعاء، أظهر الإسلام فی عهد عثمان، و حاول أن یفسد علی المسلمین دینهم، و بث فی البلاد عقائدا کثیرهٔ ضارهٔ، و قد طاف فی بلاد کثیرهٔ، فی الحجاز، و البصرهٔ، و الکوفهٔ، و الشام، و مصر. ثم ذکر أن أبا ذر تلقی فکرهٔ الاشتراکیهٔ من ذلک الیهودی، و هو تلقی هذه الفکرهٔ من مزدکیی العراق أو الیمن.

و قد کان لکتاب «فجر الإسلام» عام انتشاره (۱۹۵۲ م) دوی واسع النطاق فی الأوساط الإسلامیهٔ، فإنه أول من ألقی الحجر فی المیاه الراکدهٔ بشکل واسع، و قد رد علیه أعلام العصر بأنواع الردود، فألف الشیخ المصلح کاشف الغطاء «أصل الشیعهٔ و اصولها» ردا علیه، کما رد علیه العلامهٔ الشیخ عبد الله السبیتی بکتاب أسماه «تحت رایهٔ الحق».

۶- فرید وجدی مؤلف دائرهٔ المعارف (ت ۱۳۷۰ ه) فقد أشار إلی ذلک فی کتابه عند ذکره لحرب الجمل ضمن ترجمهٔ الإمام علی بن أبی طالب ۱۴.

۷- حسن إبراهیم حسن، و ذکره فی کتابه «تاریخ الإسلام السیاسی» فی اخریات خلافهٔ عثمان بقوله: «فکان هذا الجو ملائما تمام الملائمهٔ و مهیئا لقبول دعوهٔ (عبد الله بن سبأ) و من لف لفه و التأثر بها إلی أبعد حدو أضافو قد أذکی نیران هذه الثورهٔصحابی قدیم أشتهر بالورع و التقویو کان من کبار أئمهٔ الحدیثو هو أبو ذر الغفاری الذی تحدی سیاسهٔ عثمان و معاویهٔ و الیه علی الشام بتحریض رجل من أهلصنعاء و هو عبد الله ابن سبأ، و کان یهودیا فأسلم، ثم أخذ ینتقل فی البلاد الإسلامیهٔ، فبدأ بالحجاز، ثم البصرهٔ فالکوفهٔ و الشام و مصر ... الخ ۱۵.

هذا حال من کتب عن الشیعهٔ من المسلمین، و أما المستشرقون المتطفلون علی موائد المسلمین فحدث عنهم و لا حرج، فقد ابتغوا تلک الفکرهٔ الخاطئهٔ فی کتبهم الاستشراقیهٔ التی تؤلف لغایات خاصهٔ، فمن أراد الوقوف علی کلماتهم فلیرجع إلی ما ألفه الباحث الکبیر السید مرتضی العسکری فی ذلک المجال، فإنهدام ظلهحقق المقال و لم یبق فی القوس منزعا ۱۶.

نظر المحققین فی الموضوع:

۱- إن ما جاء فی تاریخ الطبری من القصهٔ، علی وجه لا یصح نسبته إلا إلی عفاریت الأساطیر و مردهٔ الجن، إذ کیف یصح لانسان أن یصدق أن یهودیا جاء منصنعاء و أسلم فی عصر عثمان، و استطاع أن یغری کبار الصحابهٔ و التابعین و یخدعهم، و یطوف بین البلاد ناشرا دعواه، بل و استطاع أن یکون خلایا ضد عثمان و یستقدمهم علی المدینهٔ و یؤلبهم علی الخلافهٔ الإسلامیهٔ، فیها جموا داره و یقتلوه، بمرأی و مسمع من الصحابهٔ العدول و من تبعهم باحسان، هذا شیء لا یحتمله العقل و إن وطن علی قبول العجائب و الغرائب.

بل إن هذه القصهٔ تمس کرامهٔ المسلمین و الصحابهٔ و التابعین و تصورهم أمهٔ ساذجهٔ یغترون بفکر یهودی، و فیهم السادهٔ و القادهٔ و العلماء و المفکرون.

ص:۳۰

۲- إن القراءة الموضوعیـة للسـیرة و التاریخ توقفنا علی سـیرة عثمان بن عفان و معاویة بن أبی سـفیان، فإنهما کانا یعاقبان المعارضـین لهم، و ینفون‌المخالفین و یضـربونهم، فهذا أبو ذر الغفاریرحمه اللهنفاه عثمان من المدینة إلی الربذة لاعتراضه علیه فی تقسیم الفیء و بیت المال بین أبناء بیته، کما أنه ضـرب الصحابی الجلیل عمار بن یاسر حتی انفتق له فتق فی بطنه و کسروا ضلعا من أضلاعه ۱۷، إلی غیر ذلک من مواقفهم من مخالفیهم و معارضـیهم التی یقف علیها المتتبع، و مع ذلک نری فی الأوهام التی عرضـناها مسـبقا أن رجال الخلافة و عمالهـا یغضون الطرف عمن یؤلب الصـحابة و التـابعین علی أخمـاد حکمهم، و قتـل خلیفتهم فی عقر داره، و یجر الویل و الویلات علی کیانهم!! و هذا شیء لا یقبله من له أدنی إلمام بتاریخ الخلافة و سیرة معاویة.

یقول العلامـة الأمینی: لو کان ابن سـبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، و شق عصا المسـلمین، و قد علم به و بعبثه أمراء الأمة و ساسـتها فی البلاـد، و انتهی أمره إلی خلیفـة الـوقت، فلمـاذا لـم یقـع علیـه الطلـب؟ و لم یبلغه القبض علیه، و الأخـذ بتلکم الجنایـات الخطرة و التأدیب بالضـرب و الاهانة، و الزج إلی أعماق السـجون؟ و لا آل أمره إلی الاعدام المریح للأمة من شـره و فساده کما وقع ذلک کله علی الصـلحاء الأـبرار الآمرین بالمعروف و الناهین عن المنکر؟ و هتاف القرآن الکریم یرن فی مسامع الملأ الـدینی: إنما جزاؤا الـذین یحاربون الله و رسوله و یسـعون فی الأرض فسادا أن یقتلوا أو یصلبوا أو تقطع أیدیهم و أرجلهم من خلاف أو ینفوا من الأرض ذلک لهم خزی فی الدنیا و لهم فی الآخرة عذاب عظیم ۱۸ فهلا اجتاح الخلیفة جرثومة تلک القلاقل بقتله؟ و هل کان تجهمه و غلظته قصرا علی الأبرار من أمة محمدصلی الله علیه و آله و سلمففعل بهم ما فعل ۱۹.

و هناک لفیف من الکتاب ممن حضر أو غبر، بدل أن یفتحوا عینوهم علی الواقع المریر، لیقفوا علی الأسباب المؤدیة إلی قتل الخلیفة، حاولوا التخلص من أوزار الحقیقة بالبحث عن فروض و همیة سببت قتل الخلیفة و أودت به.

و فی حق هؤلاء یقول أحد الکتاب المعاصرین:

«و فی الشـرق کتاب لا یعنیهم من التاریخ واقع و لا من الحیاة حال أو ظرف، فإذا بهم یعللون ثورة المظلومین علی عثمان، و یحصرون أحداث عصر بل عصور بإرادة فرد یطوف فی الأمصار و الأقطار و یؤلب الناس علی خلیفة و دولة!.

إن النتیجـة العملیـة لمثل هذا الزعم و هذا الافتراء هی أن الدولة فی عهد عثمان و وزیره مروان إنما کانت دولة مثالیة، و أن الأمویین و الولاة و الأرستقراطیین إنما کانوا رسل العدالة الاجتماعیة و الاخاء البشری فی أرض العرب. غیر أن رجلا فردا هو عبد الله بن سبأ أفسد علی الأمویین و الولاة و الأرستقراطیینصـلاحهم و برهم، إذ جعل یطوف الأمصار و الأقطار مؤلبا علی عثمان و امرائه و ولاته الصالحین المصـلحین، و لو لا هـذا الرجل الفرد و طوافه فی الأمصار و الأقطار لعاش الناس فی نعیم مروان و عـدل الولیـد و حلم معاویة عیشا هو الرغادة و هو الرخاء.

ص:۳۱

و فی مثل هـذا الزعم افتراء علی الواقع و اعتداء علی الخلق، و مسایرةضـئیلة الشأن لبعض الآراء، یلف ذلک جمیعا منطق ساذج و حجة مصـطنعة واهیـة. و فیه ما هو أخطر من ذلک: فیه تضـلیل عن حقائق أساسـیة فی بناء التاریخ، إذ یحاولصاحب هذا المسـعی الفاشل أن یحصـر أحـداث عصـر بکـامله، بل عصور کثیرة، بإرادة فرد یطوف فی الأمصار و یؤلب الناس علی دولـة فیثور هؤلاء الناس علی هـذه الدولة لا لشیء إلا لأن هذا الفرد طاف بهم و أثارهم!.

أما طبیعة الحکم، و سـیاسة الحاکم، و فساد النظام الاقتصادی و المالی و العمرانی، و طغیان الأثرة علی ذوی السـلطان، و استبداد الولاة بالأرزاق، و حمل بنی أمیة علی الأعناق، و المیل عن السـیاسة الشـعبیة الدیمقراطیة إلی سیاسة عائلیة أرستقراطیة رأسمالیة، و إذلال من یضـمر لهم الشـعب التقـدیر و الاـحترام الکثیرین أمثال أبی ذر و عمار بن یاسـر و غیرهما، أما هـذه الامور و ما إلیها جمیعا من ظروف الحیاة الاجتماعیـة، فلیست بـذات شأن فی تحریک الأمصار و إثارتها علی الاسـرة الأمویة الحاکمة و من هم فی رکابها، فی هؤلاء! بل الشأن کل الشأن فی الثورة علی عثمان لعبد الله بن سبأ الذی یلفت الناس عن طاعة الأئمة و یلقی بینهم الشر.

ألیس من الخطر علی التفکیر أن ینشأ فی الشـرق من یعللون الحوادث العامـة الکبری المتصـلة اتصالاـ وثیقا بطبیعـة الجماعـة و اسـس الأنظمة الاقتصادیة و الاجتماعیة بارادة فرد من عامة الناس یطوف فی البلاد باذرا للضلالات و الفساد فی هذا المجتمع السلیم.

ألیس مـن الخطر علی التفکیر أن نعلـل الثـورات الاصـلاحیة فی التاریـخ تعلیلاصبیانیـا نسـتند فیه إلی رغبـات أفراد فی التاریـخ شـاءوا أنیحدثوا شغبا فطافوا الأمصار و أحدثوه» ۲۰.

۳- إن روایة الطبری نقلت عن أشخاص لا یصح الاحتجاج بهم:

أالسری: إن السری الذی یروی عنه الطبری، إنما هو أحد رجلین:

۱- السری بن إسماعیل الهمدانی الذی کذبه یحیی بن سعید، و ضعفه غیر واحد من الحفاظ ۲۱.

۲- السـری بن عاصم بن سـهل الهمـدانی نزیل بغـداد المتوفی عام (۲۵۸ ه) و قـد أدرک ابن جریر الطـبری شـطرا من حیـاته یربو علی ثلاثین سـنة، کـذبه ابن خراش، و وهاه ابن عـدی، و قال: یسـرق الحدیث، و زاد ابن حبان: و یرفع الموقوفات، لا یحل الاحتجاج به، و قال النقاش فی حدیث وضعه السری ۲۲.

فالاسم مشترک بین کذابین لا یهمنا تعیین أحدهما.

و احتمال کونه السـری بن یحیی الثقة غیرصـحیح، لأنه توفی عام (۱۶۷ ه) مع أن الطبری من موالیـد عـام (۲۳۴ ه) فالفرق بینهما (۵۷) عاما، فلا مناص أن یکون السری، أحد الرجلین الکذابین.

بشـعیب: و المراد منه شـعیب بن إبراهیم الکوفی المجهول، قـال ابن عـدی: لیس بـالمعروف، و قال الـذهبی: روایـة، کتب سـیف عنه: فیهجهالة ۲۳.

جسـیف بن عمر: قـال ابن حبـان: کـان سـیف بن عمر یروی الموضوعـات عن الاثبـات، و قـال: قـالوا: إنه کـان یضع الحـدیث و اتهم بالزندقة. و قال الحاکم: اتهم بالزندقة و هو فی الروایة ساقط، و قال ابن عدی: بعض أحادیثه

ص:۳۲

مشهورة، و عامتها منكرة لم يتابع عليها. و قال ابن عدى: عامة حديثه منكر. و قال البرقانيعن الدار قطنى-: متروك. و قال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. و قال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدى. و قال أبو داود: ليس بشيء. و قال النسائى: ضعيف، و قال السيوطى: وضاع، و ذكر حديثا من طريق السرى بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف فقال: موضوع، فيه ضعفاء أشدهم سيف ۲۴.

دفإذا كان هذا حال السند، فكيف نعتمد فى تحليل تكون طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تشكل خمسهم أو ربعهم على تلك الرواية، مع أن هذا هو حال سندها و متنها، فالاعتماد عليها خداع و ضلال لا يرتضيه العقل.

۴- عبد الله بن سبأ، أسطورة تاريخية:

إن القرائن و الشواهد و الاختلاف الموجود فى حق الرجل و مولده، و زمن إسلامه، و محتوى دعوته يشرف المحقق على القول بأن مثل عبد الله بن‌سبأ مثل مجنون بنى عامر و بنى هلال، و أمثال هؤلاء الرجال و الأبطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون و أرباب السمر و المجنون، فإن الترف و النعيم قد بلغ أقصاه فى أواسط الدولتين: الأموية و العباسية، و كلما اتسع العيش و توفرت دواعى اللهو اتسع المجال للوضع و راج سوق الخيال، و جعلت القصص و الأمثال كى تأنس بها ربات الحجال، و أبناء الترف و النعمة ۲۵.

هذا هو الذى ذكره المصلح الكبير كاشف الغطاء، و لعل ذلك أورث فكرة التحقيق بين أعلام العصر، فذهبوا إلى أن عبد الله بن سبأ أقرب ما يكون إلى الأسطورة منه إلى الواقع. و فى المقام كلام للكاتب المصرى الدكتور طه حسين، يدعم كون الرجل أسطورة تاريخية عمد أعداء الشيعة إلى تضخيمها و تهويلها لاستغفال الناس نكاية بالشيعة و محاولة خبيثة لالقاء التفرقة و التباغض بين عموم المسلمين، و لا بأس بالوقوف على كلامه حيث قال:

و أكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذاإن كان كل ما يروى عنهصحيحاإنما قال و دعا إلى ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة، و عظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة، و لم يثرها.

إن خصوم الشيعة أيام الأمويين و العباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله ابن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان و ولاته من ناحية، و ليشنعوا على على و شيعته من ناحية أخرى، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيدا للمسلمين، و ما أكثر ما شنع خصوم الشيعةعلى الشيعة.

فلنقف من هذا كله موقف التحفظ و التحرج و الاحتياط، و لنكبر المسلمين فيصدر الإسلام عن أن يعبث بدينهم و سياستهم و عقولهم و دولتهم رجل أقبل منصنعاء، و كان أبوه يهوديا و كانت أمه سوداء، و كان هو يهوديا ثم أسلم، لا رغبا و لا رهبا و لكن مكرا و كيدا و خداعا، ثم اتيح له من النجح ما كان يبتغى، فحرض المسلمين على خليفتهم حتى قتلوه، و فرقهم بعد ذلك أو قبل ذلك شيعا و أحزابا.

هذه كلها أمور لا تستقيم للعقل، و لا تثبت للنقد، و لا ينبغى أن تقام عليها امور التاريخ، و إنما الشيء الواضح الذى ليس فيه شك هو أن ظروف الحياة الإسلامية فى ذلك الوقت كانت بطبعها تدفع إلى اختلاف الرأى، و افتراق الأهواء، و نشأة المذاهب السياسية المتباينة، فالمستمسكون بنصوص القرآن و سنة النبى و سيرةصاحبيه كانوا يرون أمورا تطرأ، ينكرونها و لا يعرفونها، و يريدون أن تواجه كما كان عمر يواجهها فى حزم و شدة و

ص:۳۳

ضبط للنفس و ضبط للرعیة، و الشباب الناشئون فی قریش و غیر قریش من أحیاء العرب کانوا یستقبلون هذه الأمور الجدیدة بنفوس جدیدة، فیها الطمع، و فیها الطموح، و فیها الاثرة، و فیها الأمل البعید، و فیها الهم الذی لا یعرف حدا یقف عنده، و فیها من أجل هذا کله التنافس و التزاحم لا علی المناصب و حدها بل علیها و علی کل شیء من حولها، و هذه الامور الجدیدة نفسها کانت خلیقة أن تدفع الشیوخ و الشباب إلی ما دفعوا إلیه، فهذه أقطار واسعة من الأرض تفتح علیهم، و هذه الأموال لا تحصی تجبی لهم من هذه الأقطار، فأی غرابة فی أن یتنافسوا فی إدارة هذه الأقطار المفتوحة، و الانتفاع بهذه الأموال المجموعة؟ و هذه بلاد أخری لم تفتح، و کل شیء یدعوهم إلی أن یفتحوها کما فتحوا غیرها، فما لهم لا یستبقون إلی الفتح؟ و ما لهم لا یتنافسون فیما یکسبه الفاتحون من المجد و الغنیمة إن کانوا من طلاب الدنیا، و من الأجر و المثوبة إن کانوا من طلاب الآخرة. ثم ما لهم جمیعا لا یختلفون فی سیاسة هذا الملک الضخم و هذا الثراء العریض؟ و أی غرابة فی أن یندفع الطامحون الطامعون من شباب قریش من خلال هذه الأبواب التی فتحت لهم لیلجوا منها إلی المجد و السلطان و الثراء؟ و أی غرابة فی أن یهم بمنافستهم فی ذلک شباب الأنصار و شباب الأحیاء الأخری من العرب؟ و فی أن تمتلیء قلوبهم موجدة و حفیظة و غیظا إذا رأوا الخلیفة یحول بینهم و بین هذه المنافسة، و یؤثر قریشا بعظائم الامور، و یؤثر بنی أمیة بأعظم هذه العظائم من الامور خطرا و أجلها شأنا.

و الشیء الذی لیس فیه شک هو أن عثمان قد ولی الولید و سعیدا علی الکوفة بعد أن عزل سعدا، و ولی عبد الله بن عامر علی البصرة بعد أن عزل أبا موسی، و جمع الشام کلها لمعاویة، و بسط سلطانه علیها إلی أبعد حد ممکن بعد أن کانت الشام ولایات تشارک فی ادارتها قریش و غیرها من أحیاء العرب، و ولی عبد الله بن أبی سرح مصر بعد أن عزل عنها عمرو بن العاص، و کل هؤلاء الولاة من ذوی قرابة عثمان، منهم أخوة لأمه، و منهم أخوة فی الرضاعة، و منهم خاله، و منهم من یجتمع معه فی نسبه الأدنی إلی أمیة بن عبد شمس.

کل هذه حقائق لا سبیل إلی انکارها، و ما نعلم أن ابن سبأ قد أغری عثمان بتولیة من ولی و عزل من عزل، و قد أنکر الناس فی جمیع العصور علی الملوک و القیاصرة و الولاة و الأمراء إیثار ذوی قرابتهم بشؤون الحکم، و لیس المسلمون الذین کانوا رعیة لعثمان بدعا من الناس، فهم قد أنکروا و عرفوا ما ینکر الناس و یعرفون فی جمیع العصور ۲۶.

و هکذا نری إن الموارد التی یستنتج منها کون ابن سبأ شخصیة و همیة خلقها خصوم الشیعة ترجع إلی الامور التالیة:

۱- إن المؤرخین الثقات لم یشیروا فی مؤلفاتهم إلی قصة عبد الله بن سبأ، کابن سعد فی طبقاته، و البلاذری فی فتوحاته.

۲- إن المصدر الوحید عنه هو سیف بن عمر و هو رجل معلوم الکذب، و مقطوع بأنه وضاع.

ص:۳۴

۳- إن الامور التی نسبت إلی عبد الله بن سبأ، تستلزم معجزات خارقهٔ لا تتأتی لبشر، کما تستلزم أن یکون المسلمون الذین خدعهم عبد الله ابن سبأ، و سخرهم لمآربهو هم ینفذون أهدافه بدون اعتراضفی منتهی البلاههٔ و السخف.

۴- عدم وجود تفسیر مقنع لسکوت عثمان و عماله عنه، مع ضربهم لغیره من المعارضین کمحمد بن أبی حذیفهٔ، و محمد بن أبی بکر، و غیرهم.

۵- قصهٔ إحراق علی إیاه و تعیین السنهٔ التی عرض فیها ابن سبأ للاحراق تخلو منها کتب التاریخ الصحیحهٔ، و لا یوجد لها فی هذه الکتب أثر.

۶- عدم وجود أثر لابن سبأ و جماعته فی وقعهٔصفین و فی حرب النهروان. و قد انتهی الدکتور بهذه الامور إلی القول: بأنه شخص ادخره خصوم الشیعهٔ للشیعهٔ و لا وجود له فی الخارج ۲۷.

و قد تبعه غیر واحد من المستشرقین، و قد نقل آراءهم الدکتور أحمد محمودصبحی فی نظریهٔ الإمامهٔ ۲۸.

إلی أن وصل الدور إلی المحقق البارع السید مرتضی العسکریدام ظلهفألف کتابه «عبد الله بن سبأ» و درس الموضوع دارسهٔ عمیقهٔ، و هو الکتاب الذی یحلل التاریخ علی أساس العلم، و قد أدی المؤلف کما ذکر الشیخ محمد جواد مغنیهٔ: «إلی الدین و العلم و بخاصهٔ إلی مبدأ التشیع خدمهٔ لا یعادلها أی عمل فی هذا العصر، الذی کثرت فیه التهجمات و الافتراءات علی الشیعهٔ و التشیع، و أقفل الباب فی وجوه السماسرهٔ و الدساسین الذین یتشبثون بالطحلب لتمزیق وحدهٔ المسلمین و اضعاف قوتهم ۲۹.

و نحن و إن افترضنا ان لهذا الرجل وجود حقیقی علی أرض الواقع إلاـ أن ذلک لاـ یعنی الاقتناع بما نقل و روی عنه، لأنه لا یعدو کونه سوی سراب و وهم و خداع لا ینطلی علی أحد. یقول الدکتور أحمد محمودصبحی: و لیس ما یمنع أن یستغل یهودی الأحداث التی جرت فی عهد عثمان لیحدث فتنهٔو لیزیدها اشتغالا، و لیؤلب الناس علی عثمان، بل أن ینادی بأفکار غریبهٔ، و لکن السابق لأوانه أن یکون لابن سبأ هذا الأثر الفکری العمیق، فیحدث هذا الانشقاق العقائدی بین طائفهٔ کبیرهٔ من المسلمین ۳۰.

و هکذا، فإن ما یبدو واضح للعیان بطلان ما ذهب إلیه بعض المنحرفین و المنخدعین من اعتبار أن نشأهٔ التشیع عن هذا الطریق، بل و یتضح الحق إنا إذا راجعنا کتب الشیعهٔ نری أن أئمتهم و علمائهم یتبرأون منه أشد التبرؤ.

۱- قال الکشی، و هو من علماء القرن الرابع: عبد الله بن سبأ کان یدعی النبوهٔ و ان علیا هو الله فاستتابه ثلاثهٔ أیام فلم یرجع، فأحرقه بالنار فی جملهٔ سبعین رجلا ۳۱.

۲- قال الشیخ الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰ ه) فی رجاله فی باب أصحاب أمیر المؤمنین: عبد الله بن سبأ الذی رجع إلی الکفر و أظهر الغلو ۳۲.

۳- و قال العلامهٔ الحلی (۶۴۸- ۷۲۶ ه): غال ملعون، حرقه أمیر المؤمنین بالنار، کان یزعم أن علیا إله و أنه نبی، لعنه الله ۳۳.

۴- و قال ابن داود (۶۴۷- ۷۰۷ ه): عبد الله بن سبأ رجع إلی الکفر و أظهر الغلو ۳۴.

ص:۳۵

۵- و ذكر الشيخ حسن بن زين الدين (ت ۱۰۱۱ ه) فى التحرير الطاووسى: غال ملعون حرقه أمير المؤمنينعليه السلامبالنار ۳۵.

و من أراد أن يقف على كلمات أئمة الشيعة فى حق الرجل، فعليه أن يرجع إلى رجال الكشى، فقد روى فى حقه روايات كلها ترجع إلى غلوه فى حق على، و أما ما نقله عنه سيف بن عمر فليس منه أثر فى تلك الروايات، فأدنى ما يمكن التصديق به أن الرجل ظهر غاليا فقتل أو أحرق، و القول بذلك لا يضر بشىء، و أما ما يذكره الطبرى عن الطريق المتقدم فلا يليق أن يؤمن و يعتقد به من يملك أدنى إلمام بالتاريخ و السير.

و أخيرا فقد تبين و بدون شك بطلان و فساد هذه النظرية المختلفة حول نشأة التشيع، و التى لم تصمد أمام النقد و التمحيص، بل و تحمل بذور سقوطها فى ذاتها، و فى ذلك الدليل البين على أصالة مذهب التشيع و الذى أسلفنا القول بأصالة نشأته، و انه وليد العقيدة الإسلامية الأصيلة و امتدادها الحقيقى، و أما ما قام به ابن سبأعلى فرضصحة وقوعهفإنه يعبر عن موقف فردى و تصرف شخصى خارج عن إطار المذهب، و من تبعه فقد أدخل نفسه دار البوار، و أين هذا الافاق و زمرته من اولئك الذين لا يخالفون الله و رسوله و اولى الأمر و لا يتخلفون عن أوامرهم قيد أنملة، كالمقداد و سلمان و حجر بن عدى و رشيد الهجرى و مالك الأشتر وصعصعة و أخيه و عمر بن الحمق، ممن يستدر بهم الغمام و تنزل بهم البركات.

إلى هنا تم تحليل النظرية الثانية فى تكون الشيعة فلننتقل إلى مناقشة النظرية الثالثة

الافتراض الثالث: التشيع فارسى المبدأ أو الصبغة

و هناك فرضية ثلاثة اخترعها المستشرقون لتكون مذهب الشيعة فى المجتمع الإسلامى، و هذه الفرضية كسابقتيها تعتمد اعتبار حداثة هذا المذهب قصدا أم جهلا، فقادها هذا التصور الخاطىء إلى اعتماد نظرية تقول بفارسية المبدأ أو الصبغة لمذهب التشيع، و هذا الترديد بين الأمرين مرجعه رأيين لأصحاب هذه النظرية فى المقام:

۱- إن التشيع من مخترعات الفرس، اخترعوه لأغراض سياسية و لم يعتنقه أحد من العرب قبل الفرس، و لكنهم لما أسلموا اخترعوا تلك الفكرة لغاية خاصة.

۲- إن التشيع عربى المبدأ، و إن لفيفا من العرب اعتنقوه قبل أن يدخل الفرس فى الإسلام، و لما أسلموا اعتنقوه وصبغوهصبغة فارسية لم تكنمن قبل.

و هذان الرأيان هما اللذان عبرنا عنهما فى العنوان بما عرفت، و إليك تفصيل أمرهما:

أما الأولى: فقد اخترعها المستشرق دوزى، و ملخصه: أن للمذهب الشيعى نزعة فارسية، لأن العرب كانت تدين بالحرية، و الفرس تدين بالملك و الوراثة، و لا يعرفون معنى الانتخاب، و لما انتقل النبى إلى دار البقاء و لم يترك ولدا، قالوا: على أولى بالخلافة من بعده.

و حاصله: ان الإنسجام الفكرى بين الفرس و الشيعةأعنى كون الخلافة أمرا وراثيادليل على أن التشيع وليد الفرس.

ص:۳۶

و هذا التصور مردود لجملة واسعة من البديهيات، منها:

أولا: ان التشيع حسب ما عرفت ظهر فى عصر النبى الأكرم و هو الذى سمى أتباع على بالشيعة، و كانوا متواجدين فى عصر النبى و بعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرسسوى سلمانفى الإسلام.

بلى فان رواد التشيع فى عصر الرسول و الوصى كانوا كلهم عربا و لم يكن بينهم أى فارسى سوى سلمان المحمدى، و كلهم كانوا يتبنون فكرة التشيع.

و كان لأبى الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالبعليه السلامأيام خلافته ثلاثة حروب، حرب الجمل، وصفين، و النهروان. و كان جيشه كله عربا ينتمون إلى اصول و قبائل عربية مشهورة بين عدنانية و قحطانية، فقد انضم إلى جيشه زرافات من قريش و الأوس و الخزرج، و من قبائل مذحج، و همدان، و طى، و كندة، و تميم، و مضر، بل كان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل كعمار بن ياسر، و هاشم المرقال، و مالك الأشتر، وصعصعة بنصوحان و أخوه زيد، و قيس بن سعد بن عبادة، و عبد الله بن عباس، و محمد ابن أبى بكر، و حجر بن عدى، و عدى بن حاتم، و أضرابهم. و بهذا الجند و بأولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصرة، و حارب القاسطين معاوية و جنوده يومصفين، و بهم قضى على المارقين.

فأين الفرس فى ذلك الجيش و أولئك القادة كى نحتمل أنهم كانوا الحجر الأساس للتشيع، ثم ان الفرس لم يكونوا الوحيدين ممن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك و الهنود و غيرهم من غير العرب.

شهادة المستشرقين على أن التشيع عربى المبدأ:

إن لفيفا من المستشرقين و غيرهمصرحوا بأن العرب اعتنقت التشيع قبل الفرس و إليك نصوصهم:

۱- قال الدكتور أحمد أمين: الذى أرى كما يدلنا التاريخ أن التشيع لعلى بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام و لكن بمعنى ساذج، و لكن هذا التشيع أخذصبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى فى الإسلام، و حيث أن أكبر عنصر دخل فى الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر فى التشيع ۳۶.

و سيوافيك الكلام ما فى ذيل كلامه من أن التشيع أخذصبغة جديدة بعد فترة من حدوثه.- و قال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاويةخصوصا أهل الكوفةشيعة، و لم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل و رؤساء العرب ۳۷.

۳- و قال المستشرق جولد تسيهر: إن من الخطأ القول بأن التشيع فى نشأته و مراحل نموه يمثل الأثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الأمم الإيرانية فى الإسلام بعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح و الدعاية، و هذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة ۳۸.

۴- و أما المستشرق آدم متز فإنه قال: إن مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية يخالف الإسلام، فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلها عدا المدن الكبرى مثل مكة و تهامة وصنعاء، و كان للشيعة غلبة فى بعض المدن أيضا مثل عمان، و هجر، وصعدة، أما إيران فكانت كلها سنة، ما عدا قم، و كان أهل اصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنه نبى مرسل ۳۹.

ص:۳۷

و لعل المتأمل فی کلمات هؤلاء یجد بوضوح أنهم یقطعون بفساد الرأی الذاهب إلی فارسیهٔ التشیع، و أنهم لم یجدوا له تبریرا معقولا، بالرغم من عدم تعاطفهم أصلا مع التشیع، فتأمل.- یقول الشیخ أبو زهرهٔ: إن الفرس تشیعوا علی أیدی العرب و لیس التشیع مخلوقا لهم، و یضیف: و أما فارس و خراسان و ما وراءهما من بلدان الإسلام، فقد هاجر إلیها کثیرون من علماء الإسلام الذین کانوا یتشیعون فرارا بعقیدتهم من الأمویین أولا، ثم العباسیین ثانیا، و أن التشیع کان منتشرا فی هذه البلاد انتشارا عظیما قبل سقوط الدولهٔ الأمویهٔ بفرار أتباع زید و من قبله إلیها ۴۰.

۶- و قال السید الأمین: إن الفرس الذین دخلوا الإسلام لم یکونوا شیعهٔ فی أول الأمر إلا القلیل، و جل علماء السنهٔ و أجلائهم من الفرس، کالبخاری و الترمذی و النسائی و ابن ماجهٔ و الحاکم النیسابوری و البیهقی، و هکذا غیرهم ممن أتوا فی الطبقهٔ التالیهٔ ۴۱.

و ثانیا: ان التاریخ یدلنا علی أن الفرس دخلوا فی الإسلام یوم دخلوا بالصبغهٔ السنیهٔ، و هذا هو البلاذری یحدثنا فی کتابه عن ذلک بقوله:

کان ابرویز وجه إلی الدیلم فأتی بأربعهٔ آلاف، و کانوا خدمه و خاصته، ثم کانوا علی تلک المنزلهٔ بعده، و شهدوا القادسیهٔ مع رستم، و لما قتل و انهزم المجوس اعتزلوا، قالوا: ما نحن کهؤلاء و لا لنا ملجأ، و أثرنا عندهم غیر جمیل، و الرأی لنا أن ندخل معهم فی دینهم، فاعتزلوا. فقال سعد: ما لهؤلاء!؟ فأتاهم المغیرهٔ بن شعبهٔ فسألهم عن أمرهم، فأخبرو بخبرهم، و قالوا: ندخل فی دینکم، فرجع إلی سعد فأخبره فآمنهم، فأسلموا و شهدوا فتح المدائن مع سعد، و شهدوا فتح جلولاء، ثم تحولوا فنزلوا الکوفهٔمع المسلمین ۴۲.

لم یکن إسلامهمیوم ذاکإلا کإسلام سائر الشعوب، فهل یمکن أن یقال: ان إسلامهم یوم ذاک کان إسلاما شیعیا؟

و ثالثا: إن الإسلام کان ینتشر بین الفرس بالمعنی الذی کان ینتشر به فی سائر الشعوب، و لم یکن بلد من بلاد إیران معروفا بالتشیع إلی أن انتقل قسم من الأشعریین الشیعهٔ إلی قم و کاشان، فبذروا بذرهٔ التشیع، و کان ذلک فی أواخر القرن الأول، مع أن الفرس دخلوا فی الإسلام فی عهد الخلیفهٔ الثانی، أی ابتداء من عام ۱۷ ه، و هذا یعنی أنه قد انقضت أعوام کثیرهٔ قبل أن یدرکوا و یعلموا معنی و مفهوم التشیع، فأین هذا من ذاک. و هذا هو یاقوت الحموی یحدثنا فی معجم البلدان بقوله:

قم، مدینهٔ تذکر مع قاشان، و هی مدینهٔ مستحدثهٔ إسلامیهٔ لا أثر للأعاجم فیها، و أول من مصرها طلحهٔ بن الأحوص الأشعری، و کان بدو تمصیرها فی أیام الحجاج بن یوسف سنهٔ ۸۳ ه، و ذلک أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قیس، کان أمیر سجستان من جههٔ الحجاج، ثم خرج علیه، و کان فی عسکره سبعهٔ عشر نفسا من علماء التابعین من العراقیین، فلما انهزم ابن الأشعث و رجع إلی کابل منهزما کان فی جملهٔ إخوهٔ یقال لهم: عبد الله، و الأحوص، و عبد الرحمن، و إسحاق، و نعیم، و هم بنو سعد بن مالک بن عامر الأشعری، وقعوا فی ناحیهٔ قم، و کان هناک سبع قری اسم احداها «کمندان» فنزل هؤلاء الأخوهٔ علی هذه القری حتی افتتحوهاو استولوا علیها، و

ص:۳۸

انتقلوا إليها و استوطنوها، و اجتمع عليهم بنو عمهم وصارت السبع قرى سبع محال بها، و سميت باسم احداها «كمندان»، فأسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قما، و كان متقدم هؤلاء الأخوة عبد الله بن سعد، و كان له ولد قد ربى بالكوفة، فانتقل منها إلى قم، و كان إماميا، و هو الذى نقل التشيع إلى أهلها، فلا يوجد بها سنى قط ۴۳.

إذن فهذا كله راجع إلى تحليل النظرية من منظار التاريخ، و أما دليله فهو أوهن من بيت العنكبوت، فإذا كان الفرس لا يعرفون معنى الانتخاب و الحرية، فإن العرب أيضا مثلهم، فالعربى الذى كان يعيش بالبادية عيشة فردية كان يحب الحرية و يمارسها، و أما العربى الذى يعيش عيشة قبلية، فقد كان شيخ القبيلة يملك زمام أمورهم و شؤونهم و عند موته يقوم أبناؤه و أولاده مكانه واحدا بعد الآخر، فما معنى الحرية بعد هذا!!

تحليل النظرية الثانية:

إن هذه النظرية و إن كانت تعترف بأن التشيع عربى المولد و المنشأ، و لكنها تدعى أنه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس فى الإسلام، و هذا هو الذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت و لفيف من المستشرقين ك «فلها وزن» فيما ذهبوا إليه فى تفسير نشأة التشيع. يقول الثانى: إن آراء الشيعة كانت تلائم الأيرانيين، أما كون هذه الآراء قد انبثقت من الإيرانيين فليست تلك الملائمة دليلا عليه، بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك، إذ تقول ان التشيع الواضح الصريح كان قائما أولا فى الأوساط العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها إلى الموالى، و جمع بين هؤلاء و بين تلك الأوساط.

و لكن لما ارتبطت الشيعة العربية بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية، و كانت حلقة الإرتباط هى الإسلام، و لكنه لم يكن ذلك الإسلام القديم، بل نوعا جديدا من الدين ۴۴.

أقول: إن مراده أن التشيع كان فى عصر الرسول و بعده بمعنى الحب و الولاء لعلى لكنه انتقل بيد الفرس إلى معنى آخر و هو كون الخلافة أمرا و راثيا فى بيت عليعليه السلامو هو الذى يصرح به الدكتور أحمد أمين فى قوله: إن الفكر الفارسى استولى على التشيع، و المقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمرا و راثيا كما كان الأمر كذلك بين الفرس فى عهد ملوك بنى ساسان و غيرهم.

إلا أنه يلاحظ عليه: أن كون الحكم و الملك أمرا وراثيا لم يكن من خصائص الفرس، بل أن مبدأ وراثية الحكم كان سائدا فى جميع المجتمعات، فالنظام السائد بين ملوك الحيرة و غسان و حمير فى العراق و الشام و اليمن كان هو الوراثة، و الحكم فى الحياة القبلية فى الجزيرة العربية كان وراثيا، و المناصب المعروفة لدى قريش من السقاية و الرفادة و عمارة المسجد الحرام و السدانة كانت أمورا وراثية، حتى أن النبى الأكرم لم يغيرها بل أنه أمضاها كما فى قضية دفعه لمفاتيح البيت إلى بنى شيبة و إقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد. فالصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمر عجيب لا يقره العقلاء، فعلى ذلك يجب أن نقول: ان التشيع اصطبغ بصبغة فارسية و غسانية و حميرية و أخيرا عربية، و إلا فما معنى تخصيص فكرة الوصاية بالفرس مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟!

ص:۳۹

إن النبوة و الوصاية من الأمور الوراثية فى الشرائع السماوية، لا بمعنى أن الوراثة هى الملاك المعين بل بمعنى أنه سبحانه جعل نور النبوة و الإمامة فى بيوتات خاصة، فكان يتوارث نبى نبيا، و وصى وصيا، يقول سبحانه:

و لقد أرسلنا نوحا و إبراهيم و جعلنا فى ذريتهما النبوة و الكتاب ۴۵.

و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين ۴۶.

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما ۴۷.

فلما ذا لا يكون سبب تشيع الفرس مفاد هذه الآيات و الروايات التى تصرح بأن الوصاية بين الأنبياء كانت أمرا وراثيا؟ و إن هذه سنة الله فى الأمم كما هو ظاهر قوله سبحانه: لا ينال عهدى الظالمين فسمى الإمامة عهد الله لا عهد الناس. ثم إن من زعم أن التشيع منصنع الفرس مبدأ وصبغة فهو جاهل بتاريخ الفرس، و ذلك لأن التسنن كان هو السائد فيهم إلى أوائل القرن العاشر حتى غلب عليهم التشيع فى عصر الصفويين، نعم كانت الرى و قم و كاشان معقل التشيع و مع ذلك يقول أبو زهرة: إن أكثر أهل فارس إلى الأن من الشيعة و أن الشيعة الأولين كانوا من أهل فارس ۴۸.

أما غلبة التشيع عليهم فى الآونة الأخيرة فلا ينكره أحد، إنما الكلام كونهم كذلك فى بداية دخولهم إلى الإسلام، فالذى يظهر كأن الرجل جاهل بتاريخ بلاد إيران و ليس له معرفة حقيقية بتفاصيل التركيبة المذهبية المختلفة التى كانت واضحة فى أطراف المجتمع الإيرانى و بينة فيه.

و إليك ما ذكره أحد الكتاب القدامى فى كتاب «أحسن التقاسيم» لتقف على أن المذهب السائد فى ذلك القرن، هل كان هو التشيع أم التسنن؟ يقول:

«اقليم خراسان للمعتزلة و الشيعة، و الغلبة لأصحاب أبى حنيفة إلا ـ فى كورة الشاش فأنهم شوافع و فيهم قوم على مذهب عبد الله السرخسى، و اقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة و الغالب بد بيللعله يريد أردبيلمذهب أبى حنفية و بالجبال، أما بالرى فمذاهبهم مختلفة، و الغلبة فيهم للحنفية، و بالرى حنابلة كثيرة، و أهل قم شيعة، و الدينور غلبه مذهب سفيان الثورى، و اقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز و رامهرمز و الدورق حنابلة، و نصف أهل الأهوازشيعة، و فيه من أصحاب أبى حنيفة كثير، و بالأهواز مالكيون، اقليم فارس العمل فيه على أصحاب الحديث و أصحاب أبى حنيفة، اقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعى، اقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث، و أهل الملتان شيعة يهيعلون فى الأذانأى يقولون حى على خير العملو يثنون فى الاقامةأى يقولون الله أكبر مرتين، و أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أيضا و هكذاو لا تخلوا القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة ۴۹.

و أما ابن بطوطة فى رحلته فيقول: «كان ملك العراق السلطان محمد خدابنده قدصحبه فى حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين بن مطهريعنى العلامة الحلى (۶۴۸- ۷۲۶ ه)- فلما أسلم السلطان المذكور و

ص:۴۰

أسلمت باسلامه التترزاد فى تعظيم هذا الفقيه فزين له مذهب الروافض و فضله على غيره ... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، و كتب بـذلك إلى العراقين و فارس و آذر بايجان و اصفهان و كرمان و خراسان، و بعث الرسل إلى البلاد، فكان أول بلاد وصل إليها الأمر بغداد و شيراز و اصفهان، فأما أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأزج يقولون لا سمعا و لا طاعة، و جاءوا للجامع و هددوا الخطيب بالقتل إن غير الخطبة، و هكذا فعل أهل شيراز و أهل اصفهان ۵۰.

و قال القاضى عياض فى مقدمة «ترتيب المدارك» و هو يحكى انتشار مذهب مالك: و أما خراسان و ما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولا بيحيى بن يحيى التميمى، و عبد الله بن المبارك، و قتيبة بن سعيد، فكان له هناك أئمة على مر الأزمان، و تفشى بقزوين و ما والاها من بلاد الجبل. و كان أخر من درس منه بنيسابور أبو إسحق بن القطان، و غلب على تلك البلاد مذهبا أبى حنيفة و الشافعى ۵۱.

قال «بروكلمان»: إن شاه إسماعيل الصفوى بعد انتصاره على «الوند» توجه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أن ثلثى سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف، من السنة ۵۲.

إذن فالنصوص المتقدمة تدل دلالة واضحة على أن مذهب التسنن كان هو المذهب السائد إلى القرن العاشر بين الفرس، فكيف يمكن أن يقال: إن بلاد فارس كانت هى الموطن الأصلى للتشيع!؟

و مما يؤكد ذلك أيضا ما رواه ابن الأثير فى تأريخه من أن أهل طوس كانوا سنة إلى عصر محمود بن سبكتكين، قال: إن محمود بن سبكتكين جدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه قبر على بن موسى الرضا و أحسن عمارته، و كان أبوه سبكتكين أخر به، و كان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم ابنه عن ذلك، و كان سبب فعله ذلك أنه رأى فى المنام أمير المؤمنين على بن أبى طالب و هو يقول: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد، فأمر بعمارته ۵۳.

و يؤيد ذلك ما رواه البيهقى: ان المأمون العباسى هم بأن يكتب كتابا فى الطعن على معاوية، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين! العامة لاتتحمل هذا و لا سيما أهل خراسان، و لا تأمن أن يكون لهم نفرة ۵۴.

إلا أن المتوكل عمد و بصلافة و تهتك إلى هدم قبر الحسينعليه السلامو فى ذلك قال الشاعر المعروف بالبسامى:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميما ۵۵

فقد بان مما ذكر أمران:

ص:۴۱

۱- ان التشيع ليس فارسى المبدأ، و إنما هو حجازى المولد و المنشأ، اعتنقه العرب فترة طويلة لم يدخل فيها أحد من الفرسسوى سلمان المحمديو ان الإسلام دخل بين الفرس مثل دخوله بين سائر الشعوب، و أنهم اعتنقوا الإسلام بمذاهبه المختلفة مثل اعتناق سائر الأمم له، و بقوا على ذلك طويلا إلى أن اشتد عود التشيع و كثر معتنقيه فى عهد بعض ملوك المغول أو عهد الصفوية ۹۰۵ ه.

۲- أن كون الإمامة منحصرة فى على و أولاده ليسصبغة عارضة على التشيع، بل هو جوهر التشيع و حقيقته، و لو لاه فقد التشيع روحه و جوهره، فجعل الولاء لآل محمد أو تفضيل على على سائر الخلفاء أصله و جوهره، و اعتبار هذا الأمركما يعتقده البعضأمرا عرضيا دخيلا على مذهب التشيع، تصور لا دليل له إلا التخرص و الاختلاق. قال المفيدرحمه الله-: الشيعى من دان بوجوب الإمامة و وجودها فى كل زمان و أوجب النص الجلى و العصمة و الكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة فى ولد الحسين بن عليعليهما السلامو ساقها إلى الرضا على بن موسيعليهما السلام-.

الافتراض الرابع: الشيعة و يوم الجمل

و أما الافتراض الخاطىء الرابع فيذهب إلى أن الشيعة تكونت يوم الجمل، حيث ذكر ابن النديم فى فهرسه: ان عليا قصد طلحة و الزبير ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر اللهجل اسمهو تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، و كان يقول: شيعتى، و سماهمعليه السلام-: الأصفياء، الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب ۵۶.

و على ذلک جرى المستشرق «فلهوزن» حيث يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى فئتين: حزب على، و حزب معاوية، و الحزب يطلق عليه فى العربية اسم «الشيعة» فكانت شيعة على فى مقابل شيعة معاوية، لكن لما تولى معاوية الملک فى دولة الإسلام كلها ... أصبح استعمال لفظة «شيعة» مقصورا على أتباع على ۵۷. و الملفت للنظر أن ما ذكره ابن النديم من تقسيمه لشيعة عليعليه السلامإلى الأصفياء و الأولياء و ... هو عين التقسيم الذى أورده معاصره البرقى ۵۸ لأصحاب أمير المؤمنينعليه السلامحيث قال:

أصحاب أمير المؤمنين:

من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه و آله و سلم-: الأصحاب، ثم الأصفياء، ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس:

من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام-: سلمان الفارسى، المقداد، أبو ذر، عمار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدرى (عربى أنصارى)- أبو برزة، جابر بن عبد الله، البراء بن عازب (أنصارى)، عرفة الأزدى، و كان رسول اللهصلى الله عليه و آله و سلمدعا له فقال: اللهم بارک له فيصفقته.

و أصحاب أمير المؤمنين، الذين كانوا شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل، و قال على بن الحكم: (أصحاب) أمير المؤمنين الذين قال لهم: تشرطوا انما أشارطكم على الجنة، و لست أشارطكم على ذهب أو فضة، ان نبيناعليه السلامقال لأصحابه فيما مضى: تشرطوا فانى لست اشارطكم، إلا على الجنة ۵۹.

ص:۴۲

و مما تقدم يظهر أن من عده ابن النديم من أصحاب الإمام رجالاماتوا قبل أيام خلافته كسلمان و أبو ذر و المقداد، و كلهم كانوا شيعة للإمام، فكيف يكون التشيع وليد يوم الجمل!؟ و الظاهر وجود التحريف فی عبارة ابن النديم.

و علی كل تقدير فما تلونا عليك من النصوص الدالة علی وجود التشيع فی عصر الرسول و ظهوره بشكل جلی بعد وفاتهصلی الله عليه و آلهو هذا قبل أن تشب نار الحرب فی البصرة، دليل علی و هن هذا الرأيعلی تسليم دلالة كلام ابن النديمفان الإمام و شيعته بعد خروج الحق عن محوره، و استتاب الأمر لأبی بكر، رأوا أن مصالح الإسلام و المسلمين تكمن فی السكوت و مما شاء القوم، بينما كان نداء التشيع يعلو بين آونة و اخری من جانب المجاهرين بالحقيقة، كأبی ذر الغفاری و غيره، و لكن كانت القاعدة الغالبة هی المحافظة قدر الإمكان علی بقاء الإسلام و عدم جر المسلمين إلی صدام كبير و نار متأججة لا تبقی و لا تذر، و العمل قدر الإمكان لدعم الواجهة السياسية للخلافة الإسلامية و رفدها بالجهد الملخص و النصح المتواصل.

إلا أن الأمر عند ما آل إلی الإمام علی وجدت شيعته متنفسا واسعا للتعبير عن وجودها و الافصاح عن حقيقتها، فظهرت بأوضح و أجليصورها، فمن هنا وقع أصحاب هذه الفرضية و غيرها فی هذه الاشتباهات الواضحة البطلان.

الافتراض الخامس: الشيعة و يومصفين

زعم بعض المستشرقين ۶۰ أن الشيعة تكونت يوم إفترق جيش علی فی مسألة التحكيم إلی فرقتين، فلما دخل علی الكوفة و فارقته الحرورية، و ثبت إليه الشيعة، فقالوا: فی أعناقنا بيعة ثانية، نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت.

و هذا الفهم الخاطیء لهذه الواقعة، و امتطاء هذه العبارة المذكورة لتحديد نشأة التشيع يعتمد بالأساس علی افتراض ان لتكون الشيعة تاريخا مفصولا عن تاريخ الإسلام، فأخذ يتمسك بهذه العبارة، مع أن تعبير الطبريأعنی قوله: و ثبت إليه الشيعة ۶۱- دليل علی سبق وجودهم علی ذلك. نعم كانت للشيعة بعد تولی الإمام الخلافة وجودا واضحا حيث ارتفع الضغط فالتف حوله مواليه من الصحابة و التابعين، إلا أن الأمر الثابت هو أن ليس جميع من كان فی جيشه من شيعته بالمعنی المفروض و الواقعی للتشيع، بل أغلب من انخرط فی ذلك الجيش كانوا تابعين له لأنه خليفة لهم و قد بايعوه علی ذلك.

الافتراض السادس: الشيعة و البويهيون

تلقی آل بويه مقاليد الحكم و السلطة من عام ۳۲۰- ۴۴۷ ه، فكانت لهم السلطة فی العراق و بعض بلاد إيران كفارس و كرمان و بلاد الجبل و همدان و إصفهان و الری، و قد اقصوا عن الحكم فی الأخير بهجوم الغزاونة

ص:۴۳

علیه عام ۴۲۰ ه. و قد ذکر المؤرخونخصوصا ابن الأثیر فی الکامل و ابن الجوزی فی المنتظمشیئا کثیرا من أحوالهم، و خدماتهم، و افساحهم المجال لجمیع العلماء من دون أن یفرقوا بینهم بافتراق طوائفهم و قد ألف المستشرق «استانلی لین بول» کتابا فی حیاتهم ترجم باسم: طبقات سلاطین الإسلام.

یقول ابن الأثیر فی حوادث عام ۳۷۲ هفی حدیثه عن أحد الملوک البویهیین، و هو عضد الدولهٔ: و کان عاقلا، فاضلا، حسن السیاسهٔ، کثیر الإصابهٔ، شدید الهیبهٔ، بعید الهمهٔ، ثاقب الرأی، محبا للفضائل و أهلها، باذلا فی مواضع العطاء ... إلی أن قال: و کان محبا للعلوم و أهلها، مقربا للعلماء، محسنا إلیهم، و کان یجلس معهم یعارضهم فی المسائل، فقصده العلماء من کل بلد، وصنفوا له الکتب، و منها الإیضاح فی النحو، و الحجهٔ فی القراءات، و المکلی فی الطب، و التاجی فی التاریخ إلی غیر ذلک ۶۲. و هذا یدل أنهم کانوا محبین للعلم و مروجین له و لهم إیاد مشکورهٔ فی نشر العلم و مساندهٔ العلماء.

و بالرغم من أن فی عصرهم کان یغلب علی أکثر البلاد مذهب التسنن إلا أن البویهین لم یقفوا موقف المعادی لهم علی الرغم مما وقفه غیرهم من الملوک الآخرین من غیر الشیعهٔ من معاداهٔ التشیع و محاربته.

و لعل التأریخ قد سجل فیصفحاته أحداثا مؤلمهٔ بعد سقوط البویهین و دخول طغرل بک مدینهٔ السلام (بغداد) عام ۴۴۷ ه، عند ما أحرقت مکتبهٔ الشیخ الطوسی و کرسیه الذی کان یجلس علیه للتدریس ۶۳.

نعم راج مذهب الشیعهٔ فی عصرهم و استنشق رجالاته نسیم الحریهٔ بعد أن تحملوا الظلم و الاضطهاد طیلهٔ حکم العباسیین خصوصا فی عهد المتوکل و من بعده، غیر أن تکون مذهب الشیعهٔ فی أیامهم شیء و کونهم مروجین و معاضدین له شیء آخر، و من السذاجهٔ بمکان الخلط بین الحالین و عدم التمییز بینهما.

الافتراض السابع: الشیعهٔ و الصفویون

و الکلام عن هذه الاسرهٔ هو عین الکلام عن البویهیین.

إن الصفویین هم اسرهٔ الشیخصفی الدین العارف المشهور فی أردبیل المتوفی عام (۷۳۵ ه). فعند ما انقرضت دولهٔ المغول، انقسمت البلاد التی کانت تحت نفوذهم إلی دویلاتصغیرهٔ شیعیهٔ و غیر شیعیهٔ، إلی أن قام أحد أحفادصفی الدین، الشاه إسماعیل عام (۹۰۵ ه) باستلام مقالید الحکم و السیطرهٔ علی بلاد فارس و إقامهٔ حکومهٔ خاصهٔ به استطاع أن یمد نفوذها و یبسط سلطتها، و استمر فی الحکم إلی عام (۹۳۰ ه)، ثم ورثه أولاده إلی أن أقصوا عن الحکم بسیطرهٔ الأفاغنهٔ علی إیران عام (۱۱۳۵ ه) فکان الصفویون خیر الملوک لقلهٔ شرورهم و کثرهٔ برکاتهم، و قد راج العلم و الأدب و الفنون المعماریهٔ أثناء حکمهم، و لهم آثار خالدهٔ إلی الآن فی ایران و العراق، و من وقف علی أحوالهم و وقف علی تاریخ الشیعهٔ یقف علی أن عصرهم کان عصر ازدهار التشیع لا تکونه، و هو أمر لا مراء فیه، و لایقتنع به إلا السذج و الجهلاء.

ص:۴۴

نعم إن هذه الآراء الساقطة فی تحلیل تاریخ الشیعة و مبدأ تکونهم، کلها کانت امورا افتراضیة بنوها علی أساس خاطیء و هو أن الشیعة ظاهرة طارئة علی المجتمع الإسلامی بعد عهد النبی، سامح الله الذین لم یتعمدوا التزییف و غفر الله لنا و لهم.

زلة لا تستقال:

إن الدکتور عبد الله فیاض زعم أن التشیع بمعنی الموالاة لعلیعلیه السلامنضج فی مراحل ثلاث:

۱- التشیع الروحی، یقول: إن التشیع لعلی بمعناه الروحی زرعت بذرته فی عهد النبی و تمت قبل تولیه الخلافة. ثم ساق الأدلة علی ذلک و جاء بأحادیث یوم الدار أو بدء الدعوة و أحادیث الغدیر و ما قال النبی فی حق علی من التسلیم علی علی بإمرة المؤمنین.

۲- التشیع السیاسی، و یرید من التشیع السیاسی: کون علی أحق بالإمامة لا لأجل النص بل لأجل مناقبه و فضائله، و یقول: إن التشیع السیاسی ظهرت بوادرهدون الالتزام بقضیة الاعتراف بإمامته الدینیة (یرید النص)- فی سقیفة بنی ساعدة، حین أسند حق علی بالخلافة عدد من المسلمین أمثال الزبیر و العباس و غیرهما، و بلغ التشیع السیاسی أقصی مداه حین بویع علی بالخلافة بعد مقتل عثمان.

۳- ظهوره بصورة فرقة، فإنما کان ذلک بعد فاجعة کربلاء سنة (۶۱ ه) و لم یظهر التشیع قبل ذلک بصورة فرقة دینیة تعرف بالشیعة. ثم استشهد بکلام المقدسی حیث قال: إن أصل مذاهب المسلمین کلها منشعبة من أربع: الشیعة، و الخوارج، و المرجئة، و المعتزلة. و أصل افتراقهم قتل عثمان، ثم تشعبوا ۶۴.

و أید نظریته بما ذکره المستشرق «فلهوزن» من قوله: تمکن الشیعة أولا فی العراق و لم یکونوا فی الأصل فرقة دینیة، بل تعبیرا عن الرأی السیاسی فی هذا الاقلیم کله، فکان جمیع سکان العراق خصوصا أهل الکوفة شیعة علی علی تفاوت بینهم ۶۵.

و هذا التصور المذکور یمکن تثبیت جملة من الملاحظات علیه:

أولا: ان التفکیک بین المرحلتین الأولیتین و ان الاولی منهما کانت فی عصر النبی و ظهرت بوادر المرحلة الثانیة بعد رحلة النبی، قد نقضه نفس الکاتب فی کلامه حیث قال: کان رواد التشیع الروحی یلتزمون بآراء علی الفقهیة إلی جانب الالتزام باسناده سیاسیا ۶۶.

و ثانیا: إن ما ذکره من النصوص فی مجال التشیع الروحی کما یدل علی أن علیا هو القائد الروحی، فإنه یدل بوضوح علی أنه القائد السیاسی، و قد نقل الکاتب جل النصوص الواردة فی هذا المبنی، فمعنی التفکیک بینهما هو أن الصحابة الواعین أخذوا ببعض مضامینها و ترکوا بعضها، و لوصح اسناد ذلک إلی بعض الصحابة فلا یصح إسناده إلی سلمان، و أبی ذر، و عمار، الذین لا یترکون الحق و إن بلغ الأمر ما بلغ.

و بما أن النبی کان هوالقائد المحنک للمسلمین، فإنه لم تکن هناک حاجة لظهور التشیع السیاسی فی حیاته، بل کان المجال واسعا لظهور التشیع الروحی و رجوع الناس إلی علی فی القضایا و الأحکام الفقهیة، و هذا لا یعنی عدم کونه قائدا سیاسیا و ان وصایا النبی لم تکن هادفة إلی ذلک الجانب.

ص:۴۵

و ثالثا: إن التشيع السياسى ظهر فى أيام السقيفة فى ظل الاعتراف بإمامته الروحية، فإن الطبرى و غيره و إن لم يذكروا مصدر رجوع الزبير و العباس إلى على، و لكن هناك نصوص عن طرق الشيعة وردت فى احتجاج جماعة من الصحابة على أبى بكر مستندين إلى النصوص الدينية.

فقد روى الصدوق عن زيد بن وهب انه قال: كان الذين أنكروا على أبى بكر تقدمه على على بن أبى طالب اثنا عشر رجلا من المهاجرين و الأنصار، فمن المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، و المقداد بن الأسود، و ابى بن كعب، و عمار بن ياسر، و أبو ذر الغفارى، و سلمان الفارسى، و عبد الله بن مسعود، و بريدة الأسلمى.

و من الأنصار: زيد بن ثابت، و ذو الشهادتين، و ابن حنيف، و أبو أيوب الأنصارى، و أبو الهيثم بن التيهان.

و بعد ماصعد أبو بكر على المنبر قال خالد بن سعيد: يا أبا بكر اتق الله ... ثم استدل على تقدم على بما ذكره النبى فقال: معاشر المهاجرين و الأنصار، أوصيكم بوصية فاحفظوها، و أنى مؤد إليكم أمرا فاقبلوه: ألا أنعليا أميركم من بعدى و خليفتى فيكمإلى آخر ما ذكرهثم قام أبو ذر و قال: يا معاشر المهاجرين و الأنصار ... طرحتم قول نبيكم و تناسيتم ما أوعز إليكم. ثم ذكر مناشدة كل منهم مستندين فى احتجاجهم على أبى بكر بالأحاديث التى سمعوها من النبى الأكرم ۶۷. و هذا يعرب عن أن التشيع السياسيالذى كان ظرف ظهوره حسب طبع الحالبعد الرحلة كان مستفادا من نصوص النبيصلى الله عليه و آله و سلم-.

رابعا: ما ذا يريد من الفرقة و ان الشيعة تكونت بصورة فرقة بعد مقتل الإمام الحسين؟ فهل يريد الفرقة الكلامية التى تبتنى على آراء فى العقائد تخالف فيها الفرق الاخرى؟ فهذا الأمر لم يعلم له أى وجود يذكر إلى أواسط العقد الثالث من الهجرة، و لم يكن يومذاك أية مسألة كلامية مطروحة حتى تأخذ شيعة على بجانب و الآخرون بجانب آخر، بل كان المسلمون متسالمين فى العقائد و الأحكام حسب ما بلغ إليهم من الرسول، و لم يكن آنذاك أى اختلاف عقائدى إلا فى مسألة القيادة، فالفرقة بهذا المعنى لم تكن موجودة فى أوساط المسلمين.

و ان أراد من الفرقة الجماعة المتبنية ولاية على روحيا و سياسيا و انه أحق بالقيادة على جميع الموازين، فإنها كانت موجودة فى يوم السقيفة و بعدها.

نعم إن توسع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية و ما رافق ذلك من احتكاك مباشر بكثير من الفرق و الجماعاتصاحبة الأفكار العقائدية المختلفة، و تأثر بعض الفرق الإسلامية و مفكريها بجملة من تلك الآراءو التصورات، ساعد بشكل كبير فى إيجاد مدارس كلامية متعددة فى كيان المجتمع الإسلامى، و لما كان الشيعة أشد تمسكا بحديث الثقلين المشهور، فقد رجعوا إلى أئمة أهل البيت فصاروا فرقة كلامية متشعبة الأفنان، ضاربة جذورها فى الكتاب و السنة و العقل.

و هكذا فلا مرية من القول بخطأ كل الافتراضات السابقة و عدم حجيتها فى محاولة تثبيت كون التشيع ظاهرة طارئة على الإسلام، و إنما هو نفس الإسلام فى إطار ثبوت القيادة لعلى بعد رحلة النبى بتنصيصه، و تبناه منذ بعثة النبى الأكرم جملة من الصحابة و التابعين و امتد ذلك حسب الأجيال و القرون، بل و ظهر بفضل التمسك بالثقلين علماء مجاهدون، و شعراء مجاهرون، و عباقرة فى الحديث، و الفقه، و التفسير، و الفلسفة، و الكلام، و اللغة، و

ص:۴۶

الأدب، و شاركوا جميع المسلمين فی بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتفقون مع جميع الفرق فی أكثر الاصول و الفروع و إن اختلفوا معهم فی بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. و سيوافيك تفصيل عقائدهم فی مبحث خاص باذن الله.

كما يظهر لك أيضا و هن ما ذهب إليه الدكتور عبد العزيز الدوری من أن التشيع باعتباره عقيدة روحية ظهر فی عصر النبی و باعتباره حزبا سياسيا قد حدث بعد قتل علی ۶۸.

پی نوشتها:

۱- تاريخ الطبری ۲/ ۴۴۳- ۴۴۴

۲- تاريخ اليعقوبی ۲/ ۱۰۳ طبع النجف.

۳- انظر ابن أبی الحديد: شرح نهج البلاغة ۶/ ۴۳- ۴۴

۴- القصص/. ۸۵

۵- الطبری ۳/. ۳۷۸

۶- أسد الغابة ۳/ ۳۰۹ قال: و شهد بيعة الرضوان و بايع فيها و كان أمير الجيش القادمين من مصر لحصر عثمان بن عفانرضی الله عنهلما قتلوه روی عنه جماعة من التابعين بمصر ...

۷- كان أحد من توثب علی عثمان حتی قتل ثم انضم إلی علی: أسد الغابة ۴/ ۳۲۴، و الاستيعاب ۳/ ۳۲۸ و الجرح و التعديل ۷/. ۳۰۱

۸- أسد الغابة ۳/ ۳۲۰ قال: تقدم نسبه فی أخيه زيد و كانصعصعة مسلما علی عهد رسول اللهصلی الله عليه و آله و سلمو لم يره وصغر عن ذلك و كان سيدا من سادات قومه عبد القيس و كان فصيحا بليغا لسنا دينا فاضلا يعد فی أصحاب عليرضی الله عنهو شهد معه حروبه.

۹- ملك العرب، أحد الأشراف و الأبطال: الطبقات الكبری ۶/ ۲۱۳، الإصابة ۳/ ۴۵۹ سير أعلام النبلاء ۴/. ۳۴

۱۰- لا حظ مقدمة تاريخ الكامل يقول فيه: فابتدأت بالتاريخ الكبير الذيصنفه الإمام أبو جعفر الطبری إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه و المرجوع عند الاختلاف إليه فأخذت ما فيه جميع تراجمه، لم اخل بترجمة واحدة منها. لا حظ ۱/ ۳ طبع دارصادر.

۱۱- البداية و النهاية ۷/ ۲۴۶ طبع دار الفكر بيروت.

۱۲- تاريخ ابن خلدون يقول: «و بعث (عثمان) إلی الأمصار من يأتيه بصحيح الخبر: محمد ابن مسلمة إلی الكوفة، و أسامة بن زيد إلی البصرة، و عبد الله بن عمر إلی الشام و عمار ابن ياسر إلی مصر و غيرهم إلی سوی هذه، فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئا و لا أنكره أعيان المسلمين و لا عوامهم إلا عمارا فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن سبأ و يعرف بابن السوداء كان يهوديا و هاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه و أخرج من البصرة ... تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر ۲/ ۱۳۹، و قال ۱۶۶: هذا أمر الجمل ملخص من كتاب أبی جعفر الطبری اعتمدناه للوثوق به و لسلامته من الأهواء.

ص:۴۷

۱۳- السنة و الشیعة ۴- ۶- ۵۴- ۴۹-. ۱۰۳

۱۴- دائرة المعارف ۶/. ۶۳۷

۱۵- تاریخ الإسلام السیاسی. ۳۴۷

۱۶- عبد الله بن سبأ ۱/ ۴۶-. ۵۰

۱۷- الاستیعاب ۲/. ۴۲۲

۱۸- المائدة/. ۳۳

۱۹- الغدیر ۹/ ۲۱۹-. ۲۲۰

۲۰- الإمام علیصوت العدالة الإنسانیة ۴/ ۸۹۴- ۸۹۶- و للکلامصلة من أراد فلیرجع إلیه.

۲۱- قال یحیی القطان: استبان لی کذبه فی مجلس واحد، و قال النسائی: متروک، و قال غیره: لیس بشـیء، و قال أحمد: ترک الناس حدیثه. لا حظ میزان الاعتدال ۲/. ۱۱۷

۲۲- تاریخ الخطیب ۹۹۳، میزان الاعتدال ۲/ ۱۱۷، لسان المیزان ۳/. ۱۲

۲۳- میزان الاعتدال ۲/ ۲۷۵، لسان المیزان ۳/. ۱۴۵

۲۴- میزان الاعتدال ۱/ ۴۳۸، تهذیب التهذیب ۴/ ۲۹۵، اللئالی المصنوعة ۱/ ۱۵۷- ۱۹۹-. ۴۲۹

۲۵- أصل الشیعة و أصولها. ۷۳

۲۶- الفتنة الکبری ۱۳۴ لا حظ الغدیر أیضا ۹/ ۲۲۰-. ۲۲۱

۲۷- طه حسین: الفتنة الکبری: فصل ابن سبأ، و قد لخص ما ذکرنا من الامور من ذلک الفصل الدکتور الشیخ أحمد الوائلی فی کتابه «هویة التشیع». ۱۴۶

۲۸- نظریة الإمامة لأحمد محمودصبحی. ۳۷

۲۹- عبد الله بن سبأ ۱/ ۱۱، و الکتاب یقع فی جزءین وصل فیهما إلی النتیجة التی تقدمت، و قد استفدنا من هذا الکتاب فی هذا الفصل.

۳۰- نظریة الإمامة. ۳۷

۳۱- رجال الکشی ۹۸ برقم. ۴۸

۳۲- رجال الطوسی: باب أصحاب علی برقم ۷۶/. ۵۱

۳۳- الخلاصة للعلامة: القسم الثانی الباب الثانی: عبد الله. ۲۳۶

۳۴- رجال ابن داوود: القسم الثانی ۲۵۴ برقم. ۲۷۸

۳۵- التحریر الطاووسی ۱۷۳ برقم. ۲۳۴

۳۶- فجر الإسلام. ۱۷۶

۳۷- الخوارج و الشیعة ۲۴۱-. ۱۴۸

۳۸- العقیدة و الشریعة. ۲۰۴

ص:۴۸

۳۹- آدم متز: الحضارة الإسلامية. ۱۰۲

۴۰- الإمام جعفر الصادق. ۵۴۵

۴۱- أعيان الشيعة.

۴۲- البلاذرى: فتوح البلدان. ۲۷۹

۴۳- معجم البلدان ۴/ ۳۹۶، مادة قم، و يقول فى مراصد الاطلاع بأن أهل قم، و كاشان كلهم شيعة إمامية و لا حظ رجال النجاشى ترجمة الرواة الأشعريين فيه.

۴۴- الخوارج و الشيعة. ۱۶۹

۴۵- الحديد/. ۲۶

۴۶- البقرة/. ۱۲۴

۴۷- النساء/. ۵۴

۴۸- تاريخ المذاهب الإسلامية.

۴۹- شمس الدين محمد بن أحمد المقدسى، أحسن التقاسيم/ ۱۱۹ (ألفه عام ۳۷۵).

۵۰- رحلة ابن بطوطة ۲۱۹- ۲۲۰

۵۱- ترتيب المدارك ۱/. ۵۳

۵۲- تاريخ المذاهب الإسلامية ۱/. ۱۴۰

۵۳- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ۵/. ۱۳۹

۵۴- البيهقى: المحاسن و المساوىء ۱/. ۱۰۸

۵۵- تاريخ أبى الفداء ۲/. ۶۸

۵۶- ابن النديم: الفهرس ۲۶۳ طبع القاهرة.

۵۷- الخوارج و الشيعة ۱۴۶ (ترجمة عبد الرحمن بدوى، طبع القاهرة).

۵۸- توفى البرقى عام (۲۷۴) أو (۲۸۰) و ألف ابن النديم كتابه عام (۲۷۷) و توفى عام (۳۷۸).

۵۹- البرقى: الرجال. ۳

۶۰- تاريخ الإمامية: للدكتور عبد الله فياض. ۳۷

۶۱- تاريخ الطبرى ۴/ ۴۶ طبع مصر.

۶۲- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ۹/ ۱۹- ۲۱ طبع دارصادر.

۶۳- المنتظم: ابن الجوزى ۱۶/ ۱۰۸ الطبعة الحديثة بيروت.

۶۴- أحسن التقاسيم ۳۸ طبع ليدن. ۱۹۰۶

۶۵- تاريخ الإمامية ۳۸- ۴۷

۶۶- تاريخ الإمامية. ۴۵

ص:۴۹

۶۷- الخصال ۴۶۱ طبع مکتبة الصدوق لاحظ المناشدة إلی آخرها تری فیها دلائل کافیة لاثبات الخلافة للإمام أمیر المؤمنینعلیه السلام-.

۶۸- لاحظ الصلة بین التصوف و التشیع. ۱۸

الشیعة فی العصرین: الأموی و العباسی

لا نأت بجدید إذا ذهبنا إلی القول بأن الهجمة الشرسة التی کانت تستهدف استئصال الشیعة و القضاء علیهم قد أخذت أبعادا خطیرة و دامیة إبان الحکمین الأموی و العباسی، فما أن لبی الإمام دعوة ربه فی لیلة الحادی و العشرین من رمضان علی ید أشقی الأولین و الآخرین، شقیق عاقر ناقة ثمود، و هو یصلی فی محراب عبادته، حتی شرع أعداء الإمام و أنداد التشیع إلی التعرض الصریح بالقتل و التشرید لأنصار هذا المذهب و المنتسبین إلیه، و إذا کان استشهاد الإمام علی یشکل فی حد ذاته ضربة قاصمة فی هیکلیة البناء الإسلامی، إلا أن هذا لم یمنع البعض ممن وقفوا موقفا باطلا و منحرفا من الإمام علی فی حیاته من التعبیر عن سرورهم من هذا الأمر الجلل کما نقل ذلک ابن الأثیر عن عائشة زوجة رسول اللهصلی الله علیه و آلهحیث قالت عند ما وصلها النبأ:

فألقت عصاها و استقر بها النوی کما قر عینا بالایاب المسافر

ثم قالت: من قتله، فقیل رجل من مراد، فقالت:

فان یک نائیا فلقد نعاه نعی لیس فی فیه التراب

فقالت زینب بنت أبی سلمة: أتقولین هذا لعلی؟ فقالت: إنی أنسی، فإذا نسیت فذکرونی ...!! ۱.

و أما معاویة فلا مناص من القول بأنه أکثر المستبشرین بهذا الأمر، حیث إنه قال لما بلغه: إن الأسد الذی کان یفترش ذراعیه فی الحرب قد قضی نحبه. ثم أنشد:

قل للأرانب ترعی أینما سرحت و للظباء بلا خوف و لا وجل ۲

و فی الجانب الآخر نری أن الإمام الحسن الابن الأکبر للإمام علی و ورثیه ینعی أباه بقوله فی مسجد الکوفة: «ألا إنه قد مضی فی هذه اللیلة، رجل لم یدرکه الأولون، و لن یر مثله الآخرون. من کان یقاتل و جبرئیل عن یمینه و میکائیل عن شماله. و الله لقد توفی فی هذه اللیلة التی قبض فیها موسی بن عمران، و رفع فیها عیسی

ص: ۵۰

بن مریم، و انزل القرآن. ألا و إنه ما خلفصفراء و لا بیضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن یبتاع بها خادما لأهله» ۳.

ثم بویع الحسن فی نهایة خطبته، و کان أول من بایعه قیس بن سعد الأنصاری، ثم تتابع الناس علی بیعته، و کان أمیر المؤمنین قد بایعه أربعون ألفا من عسکره علی الموت. فبینما هو یتجهز للمسیر قتلعلیه السلام-. فبایع هؤلاء ولده الحسن، فلما بلغهم مسیر معاویة فی أهل الشام إلیه، تجهز هو و الجیش الذین کانوا قد بایعوا علیا. و سار عن الکوفة إلی لقاء معاویة ۴.

بید إن الأمور لم تستقم للإمام الحسن لجملة من الأسباب المعروفة، أهمها تخاذل أهل العراق أولا، و کون الشیوخ الذین بایعوا علیا و التفوا حوله کانوا من عبدة الغنائم و المناصب، و لم یکن لهؤلاء نصیب فی خلافة الحسن إلا ما کان لهم عند أبیه من قبل ثانیا. و ان عددا غیر قلیل ممن بایع الحسن کانوا من المنافقین، یراسلون معاویة بالسمع و الطاعة ثالثا. کما أن لفیفا من جیشه کانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعا. إلی غیر ذلک من الأسباب التی دفعت الإمام إلی قبول الصلح مع معاویة تحت شروط خاصة تضمن لشیعة علی الأمن و الأمان، إلاـ أن معاویة و بعد أن وقع علیصلحه مع الإمام الحسن لم یتردد من الإعلان عن سریرته بکلصراحة و وضوح علی منبر الکوفة: إنی و الله ما قاتلتکم لتصلوا و لا لتصوموا، و لا لتحجوا و لا لتزکوا،- و انکم لتفعلون ذلکو لکن قاتلتکم لأتأمر علیکم، و قد أعطانی الله ذلک و أنتم له کارهون، ألا و أنی قد کنت منیت الحسن أشیاء، و جمیعها تحت قدمی لا أفی بشیء منها له ۵.

و کان ذلک التصریح الخطیر، و المنافی لا بسط مبادیء الشریعة الإسلامیة، یمثل الإعلان الرسمی لبدء الحملة الشرسة و المعلنة لاستئصال شیعة علی و أنصاره تحت کل حجر و مدر. و توالت المجازر تتری بعدمعاویة إلی آخر عهد الدولة الأمویة، فلم یکن للشیعة فی تلک الأیام نصیب سوی القتل و النفی و الحرمان. و هذا هو الذی نستعرضه فی هذا الفصل علی وجه الإجمال، حتی یقف القاریء علی أن بقاء التشیع فی هذه العصور المظلمة کان معجزة من معاجز الله سبحانه، کما یتوضح له مدی الدور الخطیر الذی لعبه الشیعة فی الصمود و الکفاح و الرد علی الظلمة و أعوانهم منذ عصر الإمام إلی یومنا هذا. و إلیک بعض الوثائق من جرائم معاویة.

۱- رسالة الإمام الحسین إلی معاویة:

«أما بعد فقد جاءنی کتابک تذکر فیه أنه انتهت إلیک عنی أمور لم تکن تظننی بها رغبة بی عنها، و أن الحسنات لا یهدی لها و لا یسدد إلیها إلا الله تعالی، و أما ما تذکرت أنه رمی إلیک عنی، فإنما رقاه الملاقون المشاؤون بالنمیمة، المفرقون بین الجمع، و کذب الغاوون المارقون، ما أرید لک حربا و لا خلافا و أنی لأخشی الله فی ترک ذلک منک و من حزبک القاسطین حزب الظلمة و أعوان الشیطان الرجیم. ألست قاتل حجر و أصحابه العابدین المخبتین الذین کانوا یستفظعون البدع، و یأمرون بالمعروف و ینهون عن المنکر، فقتلتهم ظلما و عدوانا من بعد ما أعطیتهم المواثیق الغلیظة و العهود المؤکدة جرأة علی الله و استخافا بعهده. أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذی أخلقت و أبلت وجهه العبادة؟ فقتلته من بعد ما أعطیته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من سقف الجبل.

ص:۵۱

أو لست المـدعی زیـادا فی الإسـلام، فزعمت أنه ابن أبی سـفیان، و قدقضـی رسول اللهصـلی الله علیه و آلهان الولـد للفراش و للعاهر الحجر، ثم سلطته علی أهل الإسلام یقتلهم و یقطع أیدیهم و أرجلهم من خلاف و یصلبهم علی جذوع النخل؟

سبحان الله یا معاویة! لکأنک لست من هذه الأمة، و لیسوا منک، أو لست قاتل الحضرمی الذی کتب إلیک فی زیاد انه علی دین علی کرم الله وجهه، و دین علی هو دین ابن عمهصـلی الله علیه و آله و سـلمالذی أجلسـک مجلسـک الـذی أنت فیه، و لو لاـ ذلـک کـان أفضل شرفک و شرف آبائک تجشم الرحلتین: رحلة الشتاء و الصیف، فوضعها الله عنکم بنا منة علیکم، و قلت فیما قلت: لا تردن هذه الأمـة فی فتنـة و إنی لا أعلم لها فتنـة أعظم من إمارتک علیها، و قلت فیما قلت: انظر لنفسک ولـدینک و لامـة محمـد. و انی و الله ما أعرف فضـلا من جهادک، فإن أفعل فإنه قربـة إلی ربی، و إن لم أفعله فأسـتغفر الله لدینی. و أسأله التوفیق لما یحب و یرضـی، و قلت فیما قلت: متی تکدنی أکدک، فکدنی یا معاویة ما بدا لک، فلعمری لقدیما یکاد الصالحون و إنی لأرجو أن لا تضـر إلا نفسک و لا تمحق إلا عملک فکدنی ما بدا لک، و اتق الله یا معاویة، و اعلم ان لله کتابا لا یغادرصـغیرة و لا کبیرة إلا أحصاها، و اعلم أن الله لیس بناس لک قتلک بالظنة، و أخذک بالتهمة، و إمارتکصبیا یشرب الشرب و یلعب بالکلاب، ما أراک إلا قد أو بقت نفسک، و أهلکت دینک، و أضعت الرعیة و السلام» ۶.

و لعل المتأمل فی جوانب هذه الرسالة و المتدبر لمفرداتها لیدرکو بوضوح مدی الدور المنحرف الذی وقفه الأمویون و علی رأسـهم معاویة فی محاربة أنصار مذهب التشیع و رواده، کما تتوضح له الصورة عن حجم المحنة التی مر بها الشیعة أبان تلک الحقبة الزمنیة.

و لکی تتوضـح الصورة فی ذهن القاریء الکریم نـدعوه إلی قراءة رسالـة الإمام محمد بن علی الباقرعلیه السـلاملأحد أصـحابه، حیث قال:

«إن رسول اللهصلی الله علیه و آله و سلمقبض و قد أخبر إنا أولی الناس بالناس، فتمالأت علینا قریش حتی أخرجت الأمر عن معدنه و احتجت علی الأنصار بحقنا و حجتنا. ثم تـداولتها قریش، واحـد بعـد واحد، حتی رجعت إلینا، فنکثت بیعتنا و نصبت الحرب لنا، و لم یزلصاحب الأمر فیصـعود کئود حتی قتل، فبویع الحسن ابنه و عوهـد ثم غدر به و أسـلم و وثب علیه أهل العراق حتی طعن بخنجر فی جنبه، و نهبت عسـکره، و عولجت خلاخیـل أمهـات أولاـده، فوادع معاویـة و حقن دمه و دمـاء أهل بیته، و هم قلیل حق قلیل. ثم بایع الحسین من أهل العراق عشرون ألفا، ثم غدروا به، و خرجوا علیه، و بیعته فی أعناقهم و قتلوه.

ثم لم نزلأهل البیتنسـتذل و نستضام، و نقصی و نمتهن، و نحرم و نقتل، و نخاف و لا نأمن علی دمائنا و دماء أولیائنا، و وجد الکاذبون الجاحـدون لکـذبهم و جحودهم موضـعا یتقربون به إلی أولیـائهم و قضـاة السوء و عمـال السوء فی کـل بلـدة، فحـدثوهم بالأحادیث الموضوعة المکذوبة، و رووا عنا ما لم نقله و لم نفعله، لیبغضونا إلی الناس، و کان عظم ذلک و کبره زمن معاویة بعد موت الحسنعلیه السـلام-، فقلت شـیعتنا بکل بلـدة، و قطعت الأیدی و الأرجل علی الظنة، و کان من یذکر بحبنا و الانقطاع إلینا سـجن أونهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم یزل

ص:۵۲

البلاء یشتد و یزداد إلی زمان عبید الله ابن زیاد قاتل الحسینعلیه السلامثم جاء الحجاج فقتلهم کل قتلة، و أخذهم بکل ظنة و تهمة، حتی ان الرجل لیقال له: زندیق أو کافر، أحب إلیه من أن یقال: شیعة علی، و حتیصار الرجل الذی یذکر بالخیرو لعله یکون ورعاصدوقایحدث بأحادیث عظیمة عجیبة، من تفضیل بعض من قد سلف من الولاة و لم یخلق الله تعالی شیئا منها، و لا کانت و لا وقعت و هو یحسب أنها حق الکثرة من قد رواها ممن لم یعرف بکذب و لا بقلة ورع» ۷.

بل و إلیک ما أورده ابن أبی الحدید المعتزلی فی شرحه لنهج البلاغة:

کان سعد بن سرح مولی حبیب بن عبد شمس من شیعة علی بن أبی طالب، فلما قدم زیاد الکوفة والیا علیها أخافه فطلبه زیاد، فأتی الحسن بن علی، فوثب زیاد علی أخیه و ولده و امرأته، فحبسهم و أخذ ماله و هدم داره، فکتب الحسن إلی زیاد: «من الحسن بن علی إلی زیاد، أما بعد: فإنک عمدت إلی رجل من المسلمین له ما لهم، و علیه ما علیهم، فهدمت داره و أخذت ماله و عیاله فحبستهم، فإذا أتاک کتابی هذا، فابن له داره، و أردد علیه عیاله و ماله، فانی قد أجرته فشفعنی فیه».

فکتب إلیه زیاد: من زیاد بن أبی سفیان!! إلی الحسن بن فاطمة، أما بعد: فقد أتانی کتابک تبدأ فیه بنفسک قبلی و أنت طالب حاجة، و أنا سلطان و أنت سوقة، کتبت إلی فی فاسق لا یؤبه به، و شر من ذلک تولیه أباک و إیاک، و قد علمت أنک أدنیته إقامة منک علی سوء الرأی و رضی منکبذلک، و أیم الله لا تسبقنی به و لو کان بین جلدک و لحمک، و إن نلت بعضک فغیر رفیق بک و لا مرع علیک، فإن أحب لحم إلی أن آکل من اللحم الذی أنت منه، فسلمه بجریرته إلی من هو أولی به منک، فإن عفوت عنه لم أکن شفعتک فیه، و إن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباک الفاسق، و السلام ۸.

«کان زیاد جمع الناس بالکوفة بباب قصره یحرضهم علی لعن علی أو البراءة منه، فملأ منهم المسجد و الرحبة، فمن أبی ذلک عرضه علی السیف» ۹.

و عن المنتظم لابن الجوزی: إن زیادا لما حصبه أهل الکوفة و هو یخطب علی المنبر قطع أیدی ثمانین منهم، و هم أن یخرب دورهم و یحرق نخلهم، فجمعهم حتی ملأ بهم المسجد و الرحبة یعرضهم علی البراءة من علی، و علم أنهم سیمتنعون، فیحتج بذلک علی استئصالهم و إخراب بلدهم ۱۰.

بیان معاویة إلی عماله:

روی أبو الحسن علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب «الأحداث» قال: کتب معاویة نسخة واحدة إلی عماله بعد عام الجماعة!!: «أن برئت الذمة ممن روی شیئا من فضل أبی تراب و أهل بیته» فقامت الخطباء، فی کل کورة، و علی کل منبر، یلعنون علیا و یبرأون منه، و یقعون فیهو فی أهل بیته، و کان أشد الناس بلاءا حینئذ أهل الکوفة، لکثرة من بها من شیعة علیعلیه السلامفاستعمل علیها زیاد بن سمیة، و ضم إلیه البصرة، فکان یتبع الشیعة و هو بهم عارف، لأنه کان منهم أیام علیعلیه السلام-، فقتلهم تحت کل حجر و مدر، و أخافهم، و قطع

ص:۵۳

الأیدی و الأرجل، و سمل العیون، وصلبهم علی جذوع النخل، و طردهم و شردهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم.

و کتب معاویـة إلی عماله فی جمیع الآفاق: ألا یجیزوا لأحـد من شـیعة علی و أهل بیته شـهادة. و کتب إلیهم: أن انظروا من قبلکم من شیعـة عثمـان و محبیه و أهل ولایته، و الـذین یروون فضائله و مناقبه فادنوا مجالسـهم و قربوهم و أکرموهم، و اکتبوا لی بکل ما یروی کل رجل منهم، و اسمه و اسم أبیه و عشیرته.

ففعلوا ذلک، حتی أکثروا فی فضائل عثمان و مناقبه، لما کان یبعثه إلیهم معاویـة من الصـلاة و الکساء و الحباء و القطائع، و یفیضه فی العرب منهم و الموالی، فکثر ذلـک فی کـل مصـر، و تنافسوا فی المنازل و الـدنیا، فلیس یجیء أحـد مردود من الناس عاملا من عمال معاویة، فیروی فی عثمان فضیلة أو منقبة إلا کتب اسمه و قربه و شفعه. فلبثوا بذلک حینا.

ثم کتب إلی عماله: أن الحـدیث فی عثمان قـد کثر و فشا فی کل مصـر و فی کل وجه و ناحیـة، فإذا جاءکم کتابی هذا فادعوا الناس إلی الروایة فی فضائل الصـحابة و الخلفاء الأولین، و لا تترکوا خبرا یرویه أحد من المسلمین فی أبی تراب إلا و تأتونی بمناقض له فی الصحابة، فإن هذا أحب إلی و أقرلعینی، و أدحض لحجة أبی تراب و شیعته، و أشد إلیهم من مناقب عثمان و فضله.

فقرأت کتبه علی الناس، فرویت أخبار کثیرة فی مناقب الصـحابة مفتعلـة لا حقیقـة لها، و جـد الناس فی روایـة ما یجری هـذا المجری حتی أشـادوا بـذکر ذلـک علی المنـابر، و ألقی إلی معلمی الکتـاتیب، فعلمواصبیـانهم و غلمانهم من ذلک الکثیر الواسع حتی رووه و تعلموه کما یتعلمون القرآن، و حتی علموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم، فلبثوا بذلک ما شاء الله.

ثم کتب إلی عمـاله نسـخة واحـدة إلی جمیع البلـدان: انظروا من قـامت علیه البینـة أنه یحب علیـا و أهـل بیته، فـامحوه من الـدیوان، و أسقطوا عطاءه و رزقه. و شفع ذلک بنسخة اخری: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنکلوا به، واهدموا داره.

فلم یکن البلاء أشـد و لا أکثر منه بالعراق، و لا سـیما بالکوفـة، حتی ان الرجل من شـیعة علیعلیه السـلاملیأتیه من یثق به، فیـدخل بیته فیلقی إلیه سره، و یخاف من خادمه و مملوکه، و لا یحدثه حتی یأخذ علیه الأیمان الغلیظة لیکتمن علیه. فظهر حدیث کثیر موضوع، و بهتان منتشـر، و مضـی علی ذلک الفقهاء و القضاة و الولاة، و کان أعظم الناس فی ذلک بلیة القراء و المراؤون و المستضعفون، الذین یظهرون الخشوع و النسک فیفتعلون الأحادیث لیحظوا بذلک عند و لاتهم، و یقربوا مجالسـهم، و یصـیبوا الأموال و الضیاع و المنازل، حتی انتقلت تلـک الأخبار و الأحادیث إلی أیـدی الـدیانین الـذین لا یسـتحلون الکـذب و البهتان، فقبلوها و رووها، و هم یظنون أنها حق، و لو علموا أنهاباطلة لما رووها، و لا تدینوا بها.

و ذکر ابن أبی الحدید: فلم یزل الأمر کذلک حتی مات الحسن بن علیعلیه السلامفازداد البلاء و الفتنة، فلم یبق أحد من هذا القبیل إلا و هو خائف علی دمه، أو طرید فی الأرض.

ص:۵۴

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسينعليه السلامو ولى عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، و ولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك و الصلاح و الدين ببغض على و موالاة أعدائه، و موالاة من يدعى من الناس أنهم أيضا أعداؤه، فأكثروا فى الرواية فى فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغض من عليعليه السلامو عيبه، و الطعن فيه، و الشنان له، حتى ان انسانا وقف للحجاجو يقال انه جد الأصمعى عبد الملك بن قريبفصاح به: أيها الأمير ان أهلى عقونى فسمونى عليا، و انى فقير بائس، و أنا إليصلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجاج، و قال: للطف ما توسلت به، قد وليتك موضع كذا.

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويهو هو من أكابر المحدثين و أعلامهمفى تاريخه ما يناسب هذا الخبر، قال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم ۱۱.

و لعل المرء يصاب بالذهول و هو يتأمل أسماء الصحابة و التابعين ذوى المنازل الرفيعة و المكانة السامية و الدور الجليل فى خدمة الإسلامو أهله، كيف سقطواصرعى بسيف الأمويين لا لشىء إلا لأنهم شيعة عليعليه السلام-، و من هؤلاء:

۱- حجر بن عدى: الذى قبض عليه زياد بعد هلاك المغيرة سنة (۵۱ ه) و بعثه مع أصحابه إلى الشام بشهادة مزورة، و فرية ظالمة، كان يراد منها قتله و توجيه ضربة قوية لشيعة على و تصفيتهم.

يقول المسعودى:

«فى سنة ثلاث و خمسين قتل معاوية حجر بن عدى الكنديو هو أول من قتلصبرا فى الإسلامو حمله زياد من الكوفة و معه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة و أربعة من غيرها، فلماصار على أميال من الكوفة يراد به دمشق أنشأت ابنته تقولو لا عقب له من غيرها-:

ترفع أيها القمر المنير لعلك ان ترى حجرا يسير يسير إلى معاوية بن حرب ليقتله، كذا زعم الأمير و يصلبه على بابى دمشق و تأكل من محاسنة النسور

فقتله مع أصحابه فى مرج العذراء ۱۲ بصورة بشعة يندى لها الجبين و هى مذكورة فى جميع كتب التأريخ، فراجع.

۲- عمرو بن الحمق: ذلک الصحابى العظيم الذى وصفه الإمام الحسين سيد الشهداء بأنه: أبلت وجهه العبادة. قتله معاوية بعد ما أعطاه الأمان ۱۳.

ص:۵۵

۳- مالک الأشتر: ملک العرب، و أحد أشرف رجالاتها و أبطالها، کان شهما مطاعا و کان قائد القوات العلویة. قتله معاویة بالسم فی مسیره إلی مصر بید أحد عماله ۱۴.

۴- رشید الهجری: کان من تلامیذ الإمام و خواصه، عرض علیه زیاد البراءة و اللعن فأبی، فقطع یدیه و رجلیه و لسانه، وصلبه خنقا فی عنقه ۱۵.

۵- جویریة بن مسهر العبدی: أخذه زیاد و قطع یدیه و رجلیه وصلبه علی جذع نخلة ۱۶.

۶- قنبر مولی أمیر المؤمنین: روی ان الحجاج قال لبعض جلاوزته: أحب أن أصیب رجلا من أصحاب أبی تراب!! فقالوا: ما نعلم أحدا کان أطولصحبة له من مولاه قنبر. فبعث فی طلبه، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال له: إبرأ من دین علی، فقال له: هل تدلنی علی دین أفضل من دینه؟

قال: إنی قاتلک فاختر أی قتلة أحب إلیک، قال: أخبرنی أمیر المؤمنین: ان میتتی تکون ذبحا بغیر حق. فأمر به فذبح کما تذبح الشاة ۱۷.

۷- کمیل بن زیاد: و هو من خیار الشیعة و خاصة أمیر المؤمنین، طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأی کمیل ذلک قال: أنا شیخ کبیر و قد نفذ عمری و لا ینبغی أن أکون سببا فی حرمان قومی. فاستسلم للحجاج، فلما رآه قال له: کنت أحب أن أجد علیک سبیلا، فقال له کمیل: لا تبرق و لا ترعد، فوالله ما بقی من عمری إلا مثل الغبار، فاقض فإن الموعد الله عز و جل، و بعد القتل الحساب. و قد أخبرنی أمیر المؤمنین انک قاتلی، فقال الحجاج: الحجة علیک إذن، فقال: ذلک إن کان القضاء لک، قال: بلی، اضربوا عنقه ۱۸.

۸- سعید بن جبیر: التابعی المعروف بالعفة و الزهد و العبادة، و کان یصلی خلف الإمام زین العابدین، فلما رآه الحجاج قال له: أنت شقی ابن کسیر، فقال: أمی أعرف بإسمی منک. ثم بعد أخذ ورد أمر الحجاج بقتله، فقال سعید: وجهت وجهی للذی فطر السموات و الأرض حنیفا مسلما و ما أنا من المشرکین. فقال الحجاج: شدوه إلی غیر القبلة، فقال: أینما تولوا فثم وجه الله، فقال: کبوه علی وجهه، قال: منها خلقناکم و فیها نعیدکم و منها نخرجکم تارة اخری. ثم ضربت عنقه ۱۹.

و سیوافیک ما جری علی زید بن علی من الصلب أیام خلافة هشام ابن عبد الملک عام (۱۲۲ ه) عند الکلام عن فرقة الزیدیة إن شاء الله تعالی.

هذا غیض من فیض و قلیل من کثیر مما جناه الأمویون فی حق الشیعة طوال فترة حکمهم و تولیهم لدفة الأمور و زمام الحکم، و تالله ان المرء لیصاب بالغثیان و هو یتأمل هذه الصفحات السوداء التی لا تمحی من ذاکرةالتاریخ و کیف لطخت بالدماء الطاهرة المقدسة و التی أریقت ظلما و عدوانا و تجنیا علی الحق و أهله.

الشیعة فی خلافة العباسیین:

دار الزمان علی بنی أمیة، و قامت ثورات عنیفة ضدهم أثناء خلافتهم، إلی أن قضت علی آخر ملوکهم (مروان الحمار): فقطع دابر القوم الذین ظلموا و الحمد لله رب العالمین ۲۰ و امتطی ناصیة الخلافة بعدهم العباسیون، و الذین تسربلوا بشعائر مظلومیة أهل البیت للوصول إلی سدة الخلافة و إزاحة خصومهم الأمویین عنها، بید أنهم

ص:۵۶

ما أن استقر بهم المقام و ثبتت لهم أركانه حتى انقلبوا كالوحوش الكاسرة فى محاربتهم للشيعة و تشريدهم و تقتيلهم، فكانوا أسوء من أسلافهم الامويين و أشد اجراما، و الله در الشاعر حين قال:

و الله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

۱- فكان أول من تولى منهم أبو العباس السفاح، بويع سنة (۱۳۲ ه) و مات سنة (۱۳۶ ه)، قضى وقته فى تتبع الامويين و القضاء عليهم، و هو و إن لم يتعرض للعلويين، لكنه تنكر لهم و لشيعتهم، بل و أوعز إلى الشعراء أن يتعرضوا لأولاد على و أهل بيته فى محاولة مدروسة للنيل من منزلتهم و تسفيه الدعوة المطالبة بإيكال أمر الخلافة الإسلامية إليهم. هذا محمد أحمد براق يقول فى كتابه «أبو العباس السفاح»: «إن أصل الدعوة كانلآل على، لأن أهل خراسان كان هواهم فى آل على لا آل العباس، لذلك كان السفاح و من جاء بعده مفتحة عينوهم لأهل خراسان حتى لا يتفتى فيهم التشيع لآل على ... و كانوا يستجلبون الشعراء ليمدحوهم، فيقدمون لهم الجوائز، و كانوا الشعراء يعرضون بأبناء على و ينفون عنهم حق الخلافة، لأنهم ينتسبون إلى النبى عن طريق ابنته فاطمة، أما بنو العباس فإنهم أبناء عمومة» ۲۱.

۲- ثم جاء بعده أبو جعفر المنصور، و بالرغم مما أثير حوله من منزلة و مكانة و ذكاء، إلا أن فى ذلك مجافاة عظيمة للحق و ابتعادا كبيرا عن جادة الصواب، نعم حقا إن هذا الرجل قد ثبت أركان دولته و أقام لها أسسا قويةصلبة، إلا أنه أسرف كثيرا فى الظلم و القسوة و الاجرام بشكل ملفت للأنظار، و يكفى للإلمام بجرائمه و قسوته ما كتبه ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن ذلك حيث قال: إن المنصور كان يجلس و يجلس إلى جانبه واعظا، ثم تأتى الجلاوزة فى أيديهم السيوف يضربون أعناق الناس، فإذا جرت الدماء حتى تصل إلى ثيابه، يلتفت إلى الواعظ و يقول: عظنى! فإذا ذكره الواعظ بالله، أطرق المنصور كالمنكسر!!! ثم يعود الجلاوزة إلى ضرب الأعناق، فإذا ما أصابت الدماء ثياب المنصور ثانيا قال لواعظه: عظنى!! ۲۲.

فما ذا يا ترى يريد المنصور من قوله للواعظ عظنى، و ما ذا يعنى باطراقه بعد ذلك و سكوته، هل يريد الاستهزاء بالدين الذى نهى عن قتل النفس و سفك الدماء، أو يريد شيئا آخر، و ليت شعرى أين كان المؤرخونو أصحاب الكلمات الصادقة المنصفة من هذه المواقف المخزية التى تقشعر لها الأبدان، و هم يتحدثون عن هذا الرجل الذى ما آلوا يشيدون بذكره و يمجدون بأعماله، و هلا تأمل القراء فى سيرة هذا الرجل ليدركوا ذلك الخطأ الكبير.

بلى أن هذا الرجل أسرف فى القتل كثيرا، و كان للعلويين النصيب الأكبر، و حصة الأسد من هذا الظلم الكبير.

يقول المسعودى: جمع المنصور أبناء الحسن، و أمر بجعل القيود و السلاسل فى أرجلهم و أعناقهم، و حملهم فى محامل مكشوفة و بغير وطاء، تماما كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين. ثم أودعهم مكانا تحت الأرض لا يعرفون فيه الليل من النهار، و اشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون على

ص:۵۷

فراغ کـل واحـد من حزبه، و کانوا یقضون الحاجـة الضـروریة فی مواضـعهم، فاشـتدت علیهم الرائحـة، و تورمت أجسادهم، و لا یزال الورم یصعد من القدم حتی یبلغ الفؤاد، فیموتصاحبه مرضا و عطشا وجوعا ۲۳.

و قـال ابن الأـثیر: دعـا المنصور محمـد بن عبـد الله العثمـانی، و کـان أخا لأبناء الحسن من أمهم، فأمر بشق ثیابه حتی بانت عورته، ثم ضرب مائـة و خمسون سوطـا، فأصـاب سوط منهـا وجهه فقـال: و یحکـک اکفف عن وجهی، فقـال المنصور للجلاـد: الرأس الرأس، فضـربه علی رأسـه ثلاـثین سوطـا، و أصـاب إحـدی عینیـه فسـالت علی وجهه، ثم قتلهثم ذکرو أحضـرالمنصور محمـد بن إبراهیم بن الحسن، و کان أحسن الناسـصورة، فقال له: أنت الدیباج الأصفر، لأقتلنک قتلة لم أقتلها أحدا، ثم أمر به، فبنی علیه اسطوانة و هو حی، فمات فیها ۲۴.

۳- ثم ولی بعـده المهدی ولد المنصور، و بقی فی الحکم من سـنة (۱۵۸ ه) إلی سنة (۱۶۹ ه) و کفی فی الإشـارة إلی ظلمه للعلویین، انه أخذ علی ابن العباس بن الحسن بن علی بن أبی طالب، فسجنه فدس إلیه السم فتفسخ لحمه و تباینت أعضاؤه.

۴- و لما هلک المهدی بویع ولده الهادی، و کانت خلافته سنة و ثلاثة أشهر، سار فیها علی سیرة من سبقه فی ظلم العلویین و التضییق علیهم، و کفی فی الإشـارة إلی ذلک ما ذکره أبو الفرج الاصـبهانی فی مقاتل الطالبیین حیث قال: ان ام الحسـینصاحب فـخ هی زینب بنت عبـد الله بن الحسن ابن الحسن بن علی بن أبی طـالب، قتـل المنصور أباهـا و اخوتها و عمومتها و زوجها علی بن الحسن، ثم قتل الهادی حفید المنصور ابنها الحسین، و کانت تلبس المسوح علی جسدها، لا تجعل بینها و بینه شیئا حتی لحقت بالله عز و جل ۲۵.

۵- ثم تولی بعده الرشید سنة (۱۷۰ ه) و مات (۱۹۳ ه) و کان له سجل أسود فی تعامله مع الشیعة تبلورت أوضحصورة فی ما لاقاه منه الإمـام موسـی بن جعفر الکـاظم، و هو مـا سـنذکره لاحقـا إن شـاء الله تعالی، و إلیکواحـدة من تلک الأفعال الدامیـة التی سـجلها له التأریخ و رواها الاصبهانی عن إبراهیم بن رباح، قال: إن الرشید حین ظفر بیحیی بن عبد الله بن الحسن، بنی علیه اسطوانة و هو حی، و کان هذا العمل الاجرامی موروثا من جده المنصور ۲۶.

۶- ثم جاء بعـده ابنه الأمین، فتولی الحکم أربع سـنین و أشـهرا، یقول أبو الفرج: کانت سـیرة الأمین فی أمر آل أبی طالب خلاف من تقدم لتشاغله بما کان فیه من اللهو ثم الحرب بینه و بین المأمون، حتی قتل فلم یحدث علی أحد منهم فی أیامه حدث.

۷- و تولی الحکم بعـده المـأمون، و کـان من أقوی الحکام العباسـیین بعـد أبیه الرشـید. فلما رأی المأمون إقبال الناس علی العلویین و علی رأسهم الإمام الرضا، ألقی علیه القبض بحیلة الدعوة إلی بلاطه، ثم دس الیه السم فقتله.

۸- مات المأمون سنة (۲۱۰ ه) و جاء إلی الحکم ابنه المعتصم فسـجن محمـد بن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طالب إلا أنه استطاع الفرار من سجنه.

ص:۵۸

۹- ثم تولی الحکم بعده الواثق الذی قام بسجن الإمام محمد بن علی الجوادعلیه السلامو دس له السم بید زوجته الأثیمة أم الفضل بنت المأمون.

۱۰- و ولی الحکم بعد الواثق المتوکل، و إلیک نموذجا من حقده علیآل البیت و هو ما ذکره أبو الفرج قال: کان المتوکل شدید الوطأة علی آل أبی طالب، غلیظا فی جماعتهم، شدید الغیظ و الحقد علیهم، و سوء الظن و التهمة لهم. و اتفق له أن عبید الله بن یحیی بن خاقان وزیره یسیء الرأی فیهم، فحسن له القبیح فی معاملتهم، فبلغ فیهم ما لم یبلغه أحد من خلفاء بنی العباس قبله، و کان من ذلک أن کرب ۲۷ قبر الحسین و عفی آثاره، و وضع علی سائر الطرق مسالح له لا- یجدون أحدا زاره إلا أتوه به و قتله أو أنهکه عقوبة.

و قال: بعث برجل من أصحابه (یقال له «الدیزج» و کان یهودیا فأسلم) إلی قبر الحسین و أمره بکرب قبره و محوه و إخراب ما حوله، فمضی ذلک فخرب ما حوله و هدم البناء و کرب ما حوله مائتی جریب، فلما بلغ إلی قبره لم یتقدم إلیه أحد، فأحضر قوما من الیهود فکربوه، و أجری الماء حوله، و وکل به مسالح، بین کل مسلحتین میل، لا یزوره زائر إلا أخذوه و وجهوا به إلیه.

و قال أیضا: حدثنی محمد بن الحسین الأشنانی: بعد عهدی بالزیارة فی تلک الأیام، ثم عملت علی المخاطرة بنفسی فیها، و ساعدنی رجل من العطارین علی ذلک، فخرجنا زائرین نکمن النهار و نسیر اللیل، حتی أتینا نواحی الغاضریة، و خرجنا نصف اللیل، فصرنا بین مسلحتین، و قد ناموا، حتی أتینا القبر فخفی علینا، فجعلنا نشمه (نتسمه) و نتحری جهته حتی أتیناه، و قد قلع الصندوق الذی کان حوالیه، و أحرق و أجری الماء علیه، فانخسف موضع اللبن وصار کالخندق، فزرناه و أکببنا علیهإلی أن قال:- فودعناه و جعلنا حول القبر علامات فی عدة مواضع، فلما قتل المتوکل اجتمعنا مع جماعة من الطالبیین و الشیعة حتی صرنا إلی القبر فأخرجنا تلک العلامات و أعدناه إلی ما کان علیه.

و قال أیضا: و استعمل علی المدینة و مکة عمر بن الفرج، فمنع آل أبی طالب من التعرض لمسألة الناس و منع الناس من البر بهم، و کان لا یبلغه أن أحدا أبر أحدا منهم بشیء و إن قل إلا أنهکه عقوبة، و أثقله غرما، حتی کان القمیص یکون بین جماعة من العلویات یصلین فیه واحدة بعد واحدة، ثم یرقعنه و یجلسن علی مغازلهن عواری حواسر، إلی أن قتل المتوکل فعطف المنتصر علیهم و أحسن إلیهم بمال فرقه بینهم، و کان یؤثر مخالفة أبیه فی جمیع أحواله و مضادة مذهبه ۲۸.

و ولی بعده المنتصر ابنه، و ظهر منه المیل إلی أهل البیت و خالف أباهکما عرفتفلم یجر منه علی أحد منهم قتل أو حبس أو مکروه فیما بلغنا.

و أول ما أحدثه أنه لما ولی الخلافة عزلصالح بن علی عن المدینة، و بعث علی بن الحسین مکانه فقال لهعند الموادعة-: یا علی: إنی أوجهک إلی لحمی و دمی فانظر کیف تکون للقوم، و کیف تعاملهمیعنی آل أبی طالبفقلت: أرجو أن أمتثل رأی أمیر المؤمنینأیده اللهفیهم، إن شاء الله. قال: إذا تسعد بذلک عندی ۲۹.

ص:۵۹

و قام بعده المستعین بالأمر، فنقض کلما عزله المنتصر من البرو الإحسان، و من جرائمه انه قتل یحیی بن عمر بن الحسین، قال أبو الفرج: و کانرضی الله عنهرجلا فارسا شجاعا شدید البدن، مجتمع القلب، بعیدا من رهق الشباب و ما یعاب به مثله، و لما أدخل رأسه إلی بغداد جعل أهلها یصیحون من ذلک إنکارا له، و دخل أبو هاشم علی محمد بن عبد الله ابن طاهر، فقال: أیها الأمیر، قد جئتک مهنئا بما لو کان رسول الله حیا یعزی به.

و أدخل الأساری من أصحاب یحیی إلی بغداد و لم یکن روی قبل ذلک من الأساری لحقه ما لحقهم من العسف و سوء الحال، و کانوا یساقون و هم حفاهٔ سوقا عنیفا، فمن تأخر ضربت عنقه.

قال أبو الفرج: و ما بلغنی أن أحدا ممن قتل فی الدولهٔ العباسیهٔ من آل أبی طالب رثی بأکثر مما رثی به یحیی، و لا قیل فیه الشعر بأکثر مما قیل فیه.

أقول: إن العباسیین قد أتوا من الجرائم التی ینـدی لها الجبین و تقشعر منها الجلود فی حق الشیعهٔ بحیث تغص بذکرها المجلدات الکبیرهٔ الواسعهٔ، بل و فاقوا بأفعالهم المنکرهٔ ما فعله الأمویون من قبل، و لله در الشاعر حیث قال:

تالله إن کانت أمیهٔ قد أتت قتل ابن بنت نبیها مظلوما فلقد أتاه بنو أبیه بمثلها هذا لعمرک قبره مهدوما أسفوا علی أن لا یکونوا شارکوا فی قتله فتتبعوه رمیما

و من أراد أن یقف علی سجل جرائم الدولتین (الأمویهٔ و العباسیهٔ) و ملف مظالمهم فعلیه قراءهٔ القصائد الثلاث التی نظمها رجال مؤمنونمخلصون، عرضوا أنفسهم للمخاوف و الأخطار طلبا لرضی الحق:

۱- تائیهٔ دعبل الخزاعی الشهید عام ۲۴۶ ه-، فإنها وثیقهٔ تاریخیهٔ خالدهٔ تعرب عن سیاسهٔ الدولتین تجاه أهل البیتعلیهم السلام-، و قد أنشدها الشاعر للإمام الرضا، فبکی و بکت معه النسوهٔ.

أخرج الحموی عن أحمد بن زیاد عن دعبل الخزاعی قال: أنشدت قصیدهٔ لمولای علی الرضارضی الله عنه-:

مدارس آیات خلت من تلاوهٔ و منزل وحی مقفر العرصات قال دعبل: ثم قرأت باقی القصیدهٔ، فلما انتهیت إلی قولی:

خروج إمام لا محالهٔ واقع یقوم علی اسم الله و البرکات

بکی الرضا بکاءا شدیدا.

و من هذه القصیدهٔ قوله:

ص:۶۰

هم نقضوا عهد الكتاب و فرضه و ما حكمه بالزور و الشبهات تراث بلا قربى، و ملك بلا هدى و حكم بلا شورى، بغير هداة

و فيها أيضا قوله:

لآل الرسول بالخيف من منى و البيت و التعريف و الجمرات ديار على و الحسين و جعفر و حمزة و السجاد ذى الثفنات ديار عفاها جون كل مبادر و لم تعف بالأيام و السنوات منازل كانت للصلاة و للتقى و للصوم و التطهير و الحسنات منازل وحى الله معدن علمه سبيل رشاد واضح الطرقات منازل وحى الله ينزل حولها على أحمد الروحات و الغدوات

إلى أن قال:

ديار رسول الله أصبحن بلقعا و دار زياد أصبحت عمرات و آل رسول الله غلت رقابهم و آل زياد غلظ القصرات و آل رسول الله تدمى نحورهم و آل زياد زينوا الحجلات

و فيها أيضا:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا و قد مات عطشانا بشط فرات إذا للطمت الخد فاطم عنده و أجريت دمع العين من وجنات

ص:۶۱

أفاطم قومى يا ابنة الخير و اندبى نجوم سماوات بأرض فلات ۳۰

۲- ميمية الأمير أبى الفراس الحمدانى (۳۲۰- ۳۵۷ ه-)، و هذه القصيدة تعرف بالشافية، و هى من القصائد الخالدة، و عليها مسحة البلاغة، و رونق الجزالة، و جودة السرد، و قوة الحجة، و فخامة المعنى، أنشدها ناظمها لما وقف على قصيدة ابن سكرة العباسى التى مستهلها:

بنى على دعوا مقالتكم لا ينقص الدر وضع من وضعه

فقال الأمير فى جوابه ميميته المعروفة و هى:

الحق مهتضم و الدين مخترم و فيىء آل رسول الله مقتسم

إلى أن قال:

يا للرجال أما لله منتصر من الطغاة؟ أما لله منتقم؟

بنو على رعايا فى ديارهم و الأمر تملكه النسوان و الخدم! ۳۱

۳- جيمية ابن الرومى التى رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد، و منها:

أمامك فانظر أى نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم و أعوج ألا أى هذا الناس طال ضريركم بآل رسول الله فاخشوا أو ارتجوا أكل أوان للنبى محمد قتيل زكى بالدماء مضرج ۳۲

و كم من الانصاف فى ما كتبه الاصبهانى عن مدى العب الذى تحمله أهل البيت و شيعتهم من أجل كلمة الحق، و موقف الصدق، و ما ترتب على ذلك من تكالب لا يعرف الرحمة من قبل الحكومات الجائرة المتلاحقة للقضاء على هذا الوجود المقدس و اجتثاثه من أصله، حيث ذكر:

«و الله لا يعرف التاريخ أسرة كأسرة أبى طالب بلغت الغاية من شرف الارومة، و طيب النجار، ضل عنها حقها، و جاهدت فى سبيل الله حق الجهاد من الأعصار، ثم لم تظفر من جهادها المرير إلا بالحسرات، و لم تعقب من جهادها إلا العبرات، على ما فقدت من أبطال أسالوا نفوسهم فى ساحة الوغى، راضية قلوبهم مطمئنة

ص:۶۲

ضمائرهم، وصافحوا الموت فى بسالة فائقة، و تلقوه فيصبر جميل يثير فى النفس الاعجاب و الاكبار، و يشيع فيها ألوان التقدير و الاعظام. و قد أسرف خصوم هذه الأسرة الطاهرة فى محاربتها، و أذاقوها ضروب النكال، وصبوا عليهاصنوف العذاب، و لم يرقبوا فيها إلا و لا ذمة، و لم يرعوا لها حقا و لا حرمة، و أفرغوا بأسهم الشديد على النساء و الأطفال، و الرجال جميعا، فى عنف لا يشوبه لين، و قسوة لا ـ تمازجها رحمة، حتى غدت مصائب أهل البيت مضرب الأمثال، فى فضاعة النكال، و قد فجرت هذه القسوة البالغة ينابيع الرحمة و المودة فى قلوب الناس، و أشاعت الأسف الممض فى ضمائرهم، و ملأت عليهم أقطار نفوسهم شجنا، وصارت مصارع هؤلاء الشهداء حديثا يروى، و خبرا يتناقل، و قصاصا تقص، يجد فيها الناس إرضاء عواطفهم و إرواء مشاعرهم، فتطلبوه و حرصوا عليه» ۳۳.

نعم لقد اقترن تاريخ الشيعة بأنواع الظلم و النكال، و القتل و التشريد، بحيث لم تشهده أى طائفة أخرى من طوائف المسلمين. بلى لم ير الأمويون و العباسيون و لا ـ الملوك الغزانوة و لا ـ السلاجقة و لا ـ من أتى بعدهم أى حرمة لنفوسهم و أعراضهم و علومهم و مكتباتهم، فحين كان اليهود و النصارى يسرحون و يمرحون فى أرض الإسلام و المسلمين، و قد كفل لهم الحكام حرياتهم باسم الرحمة الإسلامية، كان الشيعة يؤخذون تحت كل حجر و مدر، و يقتلون بالشبهة و الظنة، و تشرد أسرهم، و تصادر أموالهم، و لا يجدون بدا من أن يخفوا كثيرا من عقائدهم خوف النكال و القتل، و بأيدى و قلوب نزعت منها الرحمة، فلا تثريب إذن على الشيعى أمام هذه الوحشية المسرفة من أن يتعامل مع أخيه المسلم بالتقية، و أن يظهر خلاف ما يعتقده، بل اللوم أجمعه يقع على من حمله على ذلك، بعد أن أباح دمه و عرضه و ماله. هذا هو طغرل بيك أول ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ۴۴۷ ه-، و شن على الشيعة حملة شعواء، و أمر بإحراق مكتبة الشيعة التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير، وزير بهاء الدولة البويهى، و كانت من دور العلم المهمة فى بغداد بناها هذا الوزير الجليل فى محلة بين السورين فى الكرخ سنة ۳۸۱ هعلى مثال بيت الحكمة الذى بناه هارون الرشيد، و كانت من الأهمية العلمية بمكان، حيث جمع فيها هذا الوزير ما تفرق من كتب فارس و العراق، و استكتب تآليف أهل الهند و الصين و الروم، كما قاله محمد كرد على، و نافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار و مهام الأسفار، و أكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين ۳۴.

قال يا قوت الحموى: و بها كانت خزانة الكتب التى أوقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، و لم يكن فى الدنيا أحسن كتابا منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة و أصولهم المحررة ۳۵.

و كان من جملتها مصاحف بخط ابن مقلة على ما ذكره ابن الأثير ۳۶.

و لما كان الوزير سابور من أهل الفضل و الأدب، فقد أخذ العلماء يهدون إليه مصنفاتهم المختلفة، فأصبحت مكتبته من أغنى دور الكتب ببغداد، و قد أحرقت هذه المكتبة العظيمة فى جملة ما احترق من محال الكرخ عند مجىء طغرل بيك، و توسعت الفتنة حتى اتجهت إلى شيخ الطائفةو أصحابه فأحرقوا كتبه و كرسيه الذى كان يجلس عليه للكلام.

ص:۶۳

قال ابن الجوزی فی حوادث سنهٔ ۴۴۸ ه: و هرب أبو جعفر الطوسی و نهبت داره، ثم قال فی حوادث سنهٔ ۴۴۹ ه-: و فیصفر هذه السنهٔ کبست دار أبی جعفر الطوسی متکلم الشیعهٔ فی الکرخ، و أخذ ما وجد من دفاتره و کرسی یجلس إلیه للکلام، و أخرج إلی الکرخ أضیف إلیه ثلاث سناجیق بیض کان الزوار من أهل الکرخ قدیما یحملونها معهم إن قصدوا زیارهٔ الکوفهٔ، فأحرق الجمیع ۳۷.

و اخیرا فلعل القاریء الکریم إذا تأمل بتدبر و تأن إلی جملهٔ ما کتب و ألف من المراجع التاریخیهٔو حتی تلک التی کتبت فی تلک العصور التی شهدت هذه المجازر المتلاحقهٔ، و التی بلا أدنی شک کان أغلبها یجاری أهواء الأسر الحاکمهٔ آنذاکفانه سیجد بوضوح إن بقاء الشیعهٔ حتی هذه الأزمنهٔ من المعاجز و الکرامات و خوارق العادات، کیف و ان تاریخهم کان سلسلهٔ من عملیات الذبح، و القتل، و القمع، و الاستئصال، و السحق، و الإبادهٔ، قد تضافرت قوی الکفر و الفسق علی إهلاکهم و قطع جذورهم، و مع ذلک فقد کانت لهم دول و دویلات، و معاهد و کلیات، و بلدان و حضارات، و أعلام و مفاخر، و عباقرهٔ و فلاسفهٔ، و فقهاء، و محدثون، و وزراء و سیاسیون، و یشکلون الیوم خمس المسلمین أو ربعهم.

نعم إن ذلک من فضله سبحانه لتعلق مشیئته علی إبقاء الحقو إزهاق الباطل فی ظل قیام الشیعهٔ طیلهٔ القرون بواجبها و هو الصمود أمام الظلم، و التضحیهٔ و التفدیهٔ للمبدأ و المذهب و قد قال سبحانه: إن یکن منکم عشرونصابرون یغلبوا مائتین و إن یکن منکم مائهٔ یغلبوا ألفا من الذین کفروا بأنهم قوم لا یفقهون ۳۸.

و لا ـ یفوتنک أخی القاریء الکریم ان ثوراتهم المتعاقبهٔ علی الحکومات الظالمهٔ الفاسدهٔ الخارجهٔ عن حدود الشریعهٔ الإسلامیهٔ العظیمهٔ هی التی أدت إلی تشریدهم و قتلهم و الفتک بهم، و لو أنهم ساوموا السلطهٔ الأمویهٔ و العباسیهٔ، لکانوا فی أعلی المناصب و المدارج، لکن ثوراتهم لم تکن عنصریهٔ أو قومیهٔ أو طلبا للرئاسهٔ، بل کانت لإزهاق الباطل و رفع الظلم عن المجتمع، و الدعوهٔ إلی اعلاء کلمهٔ الله و غیر ذلک مما هو من وظائف العلماء العارفین.

پی‌نوشتها:

۱- الکامل لابن الاثیر ۳/ ۳۹۴ طبع دارصادر.

۲- ناسخ التواریخ، القسم المختص بحیاهٔ الإمام. ۶۹۲

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/. ۲۱۳

۴- الکامل ۳/ ۴۰۴ طبعهٔ دارصادر.

۵- الإرشاد للشیخ المفید:. ۱۹۱

۶- الإمامهٔ و السیاسهٔ ۱/ ۱۶۴، جمهرهٔ الرسائل ۲/ ۶۷، و رواه الکشی فی رجاله ۴۸- ۵۱ و المجلسی فی البحار ۴۴/ ۲۱۲-. ۲۱۴

۷- شرح نهج البلاغهٔ ۱۱/ ۴۳-. ۴۴

۸- شرح بن أبی الحدید ۴/

ص:۶۴

۹- مروج الذهب ۳/. ۲۶
۱۰- المنتظم ۵/ ۲۶۳ طبعة بیروت.
۱۱- شرح نهج البلاغة ۱۱/. ۴۶
۱۲- مروج الذهب ۳/ ۳- ۴، سیر أعلام النبلاء ۳/ ۴۶۲- ۴۶۶ برقم. ۹۵
۱۳- سیر أعلام النبلاء ۴/ ۳۴- ۳۵ برقم. ۶
۱۴- شذرات الذهب ۱/. ۹۱
۱۵- شرح نهج البلاغة ۲/ ۲۹۴-. ۲۹۵
۱۶- شرح نهج البلاغة ۲/ ۲۹۰-. ۲۹۱
۱۷- رجال الکشی ۶۸- ۶۹ برقم ۲۱، الشیعة و الحاکمون. ۹۵
۱۸- شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۱۷/ ۱۴۹، الشیعة و الحاکمون. ۹۶
۱۹- سیر أعلام النبلاء ۴/ ۳۲۱- ۳۲۸، الجرح و التعدیل ۴/ ۹ برقم. ۲۹
۲۰- الأنعام/. ۴۵
۲۱- أبو العباس السفاح ۴۸، کما فی الشیعة و الحاکمون. ۱۳۹
۲۲- العقد الفرید ۱/. ۴۱
۲۳- مروج الذهب ۳/ ۳۱۰ طبع. ۱۹۴۸
۲۴- الکامل ۴/. ۳۷۵
۲۵- مقاتل الطالبیین ۲۸۵ طبعة النجف.
۲۶- مقاتل الطالبیین ۳۲۰ طبع النجف، و روی فی مقتله أمرا آخر.
۲۷- الکرب: إثارة الأرض للزرع.
۲۸- مقاتل الطالبیین ۵۹۷-. ۵۹۹
۲۹- مقاتل الطالبیین. ۶۳۶
۳۰- لاحظ للوقوف علی هذه القصیدة: المناقب لابن شهر آشوب ۲/ ۳۹۴، و روضة الواعظین للفتال النیسابوری ۱۹۴، و کشف الغمة للأربلی ۳/ ۱۱۲- ۱۱۷، و قد ذکرها أکثر المؤرخین.
۳۱- نقلها فی الغدیر برمتها و أخرج مصادرها، لا حظ ۳/ ۳۹۹-. ۴۰۲
۳۲- مقاتل الطالبیین ۶۳۹-. ۶۴۶
۳۳- مقدمة مقاتل الطالبیین، بقلم السید أحمدصفر: الصفحة یک، طبع دار المعرفة.
۳۴- خطط الشام ۳/. ۱۸۵
۳۵- معجم البلدان ۲/. ۳۴۲
۳۶- التاریخ الکامل ۱۰/. ۳

ص:۶۵

۳۷- المنتظم ۸/ ۱۷۳- ۱۷۹، نقلنا ما يتعلق بمكتبة أبى نصر سابور و الشيخ الطوسى عن مقدمة شيخنا الطهرانى على التبيان و ذكرنا المصادر التى أومأ هو إليها فى الهامش، لا حظ الصفحة هو: من المقدمة.

۳۸- الأنفال/. ۶۵

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام– بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"
تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)
رقم التسجیل: ۲۳۷۳
الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.